الجمهورية الجزائرية الديمقراطية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د. الطاهر موﻻي _سعيدة_

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة تاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي الموسومة ب:

الرسائل السلطانية في عهد الموحدين

(524-668هـ/ 1130-1269م)

من إعداد:

- جلطي أسماء

تحت إشراف:

- د. بوداعة نجادي

أعضاء لجنة المناقشة

د. بوداعة نجادي ..... مشرفا

د.بوحسون عبد القادر ..... رئيسا

د.دلباز محمد ..... مناقشا

السنة الجامعية: 1438-1439هـ/ 2017-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»

سورة هود الآية 88

إهداء

إلى دار الأمان، ومنبع الحنان والعطاء، إلى من تعبت وسهرت وضحّت من أجل راحتي وسعادتي، أمي الحبيبة الغالية، إلى سندي في الحياة أبي الغالي، أطال الله في عمرهما

جلطي أسماء

شكر وتقدير

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه أن مكنني من إتمام هذا العمل المتواضع

الحمد لله الذي اختار لي أستاذ محترم ومتواضع أمام سعة علمه ليكون مشرفا عليّ، إلى الذي منحني من وقته الثمين رغم كثرة انشغاله، ولم يبخل عليّ بتوجيهاته ونصائحه، وحسن معاملته، فله مني كامل الشكر والتقدير والامتنان الأستاذ الدكتور "بوداعة نجادي"

إلى الأستاذ الدكتور "شباب عبد الكريم" الذي شجعنا على العمل، وتقديمه النصائح القيّمة

إلى الأستاذ "نابي محمد" شكرا لدعمه وتفهمه وتواضعه

إلى الأستاذ "مكاتي" الذي ساعدني بمختلف المصادر والمراجع فجزاه الله خيرا

إلى كل الأساتذة الذين درّسوني من الابتدائي إلى الجامعي

كما أشكر كل من ساهم في إنجاز هذا العمل خاصة أخي عبد الكريم الذي سهر وتعب كثيرا في كتابة هذه الرسالة، وإلى من قام بطباعتها وإخراجها على الصورة التي كنت أرجوها

قائمة المختصرات

1-القسم العربي

الرمز	المعنى
ط	الطبعة
ج	الجزء
ص	الصفحة
ت	توفي
م	مجلد
ق	قسم
تح	تحقيق
تق	تقديم
تع	تعليق
تر	ترجمة
ه	هجري
م	ميلادي

2-القسم الأجنبي

P	Page

مقدمة

شهد المغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري ميلاد الدولة الموحدية، هاته الأخيرة التي أنشأت دولة ضخمة متعددة الأطراف، وتعد إحدى الدول القوية التي سجلت اسمها في التاريخ.

كانت الحقبة التي حكم فيها الموحدون المغرب بحاجة إلى من يخلد ذكراها وتعد الرسائل السلطانية خير شاهد على أحداث ذلك العهد والتي كان لها الفضل في كشف الغطاء عن الأحداث الواقعة في تلك الفترة سواءا في المغرب أو الأندلس.

كانت الكتابة متداولة في العديد من الدول الإسلامية، وخصص مكانا للاحتفاظ بها يسمى الديوان، وتعتبر الدولة الموحدية من الدول التي اعتمدت على الكتابة في تواصلها مع عدة دول، خاصة بعد بلوغ ذروتها لحظة اتساع رقعتها الجغرافية.

انبثقت عن الكتابة الديوانية الرسائل الرسمية للسلطان، هذه الرسائل التي تتبعت حركة الدولة منذ بدايتها إلى نهايتها في جميع مراحلها فعرضت النظم السياسية السائدة والتطورات الحاصلة، والفتوحات العسكرية، وركّزت بصفة رسمية على تحركات الخلفاء خلال هذا العهد.

وقبل تحليل الرسائل الموحدية لابد من التعرف على خصائصها الفنية والأدبية، وعلى الكتّاب الذين تركوا بصمتهم في هذه الرسائل.

إن الغاية من دراسة موضوع الرسائل السلطانية في عهد الموحدين هو معرفة ما أضافته هذه الدولة في سجلات العالم الإسلامي، ومدى قدرتها على تحقيق النجاح داخل المغرب الإسلامي وخارجه في الدول النصرانية.

لهذا البحث أهمية كبيرة يمكن صياغتها في جانبين، جانب ديني سياسي وهو الأصل الذي بنيت عليه الدولة الموحدية وجانب عسكري تمثل في التحول الذي قامت به الدولة نتيجة نجاح جانبها الأول وبفضل كلا الجانبين تمكنت من بسط نفوذها وفرض سطوتها.

وهذا ما يقودنا إلى طرح الإشكالية التالية:

-هل تمكنت الرسائل السلطانية من إبراز صورة الدولة الموحدية في عزّ قوتها وفي فترة ضعفها؟

-وتفرعت عن هذه الإشكالية العديد من الأسئلة منها:

-كيف كانت نشأة الرسائل السلطانية؟

-فيما تمثل أسلوب الرسائل الموحدية؟

-ما هي أهم موضوعات الرسائل السلطانية الموحدية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها، اعتمدنا على خطة رأينا أنها تتناسب مع موضوع البحث الذي نحن بصدد دراسته، وهي مكونة من مقدمة، ومدخل وهو بمثابة تمهيد للوصول إلى صلب الموضوع وتم فيه ذكر حوصلة حول الدولة الموحدية منذ نشأتها إلى سقوطها.

أمّا الفصل الأول اقتصر فيه الحديث على الدراسة الفنية للرسائل السلطانية في عهد الموحدين، تضمن بداية التطور التاريخي لديوان الرسائل ثم التعريف بالرسائل السلطانية وتحديد أهميتها ومميزاتها وخصائصها ثم ذكر مشاهير كتّاب الموحدين.

والفصل الثاني فصلنا فيه بذكر موضوعات الرسائل السلطانية الموحدية والتي تمثلت أولا في رسائل سياسية ثم رسائل عسكرية ثم رسائل دينية.

أنهينا البحث بخاتمة تضمنت استنتاجات ونتائج تم التوصل إليها من خلال الإجابة عن التساؤلات المطروحة.

- كان ذلك كله وفق المنهج التحليلي التاريخي الذي يقوم على جمع المادة وتحليلها.

يحتاج البحث التاريخي إلى مصادر ومراجع متنوعة حتى يكون العمل في المستوى المرغوب به، لذا فقد اعتمدنا في إنجاز هذه المذكرة على عدد من المصادر والمراجع تنوعت ما بين تاريخية وأدبية.

أ-المصادر:

- أولها **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية** لبروفنصال نشر فيه ليفي سبعة وثلاثين رسالة، عرض لنا من خلالها سلسلة من الوقائع والأحداث التي جرت في عهد الموحدين أمّا دراستنا تمثلت في تحليل مضمون بعض تلك الرسائل.

- **رسائل موحدية مجموعة جديدة** تحقيق أحمد عزاوي، يتعتبر مصدر آخر نشر عن تاريخ الدولة الموحدية، وجاءت هذه الرسائل في جزئين، الأول جمع فيه حوالي 135 رسالة رتبها ترتيبا زمنيا ثم عرض هذه الرسائل بكتّابها، أما الجزء الثاني فقد شرح فيه بعض خصائص تلك الرسائل.

وبقية الرسائل تفرقت في عدة مصادر أخرى منها:

-**كتاب البيان المغرب** لابن عذارى، وهو من المصادر التاريخية المتعلق بتاريخ المغرب والأندلس وقد استفاد البحث من الجزء الخامس المخصص لدولة الموحدين والذي تحدث فيه بالتفصيل عن تاريخ هذه الدولة.

-**كتاب أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين** لصاحبه البيدق، يعد أحد الكتب التاريخية القيمة والوثائق الهامة جدا في دولة الموحدين، لأن مؤلفه عاصر تلك الفترة وشهد الأحداث زمن محمد بن تومرت.

-**كتاب المنّ بالإمامة** لابن صاحب الصلاة، أمدنا هذا الكتاب بمعلومات جمّة من خلال كشفه عن العديد من الآثار الحضارية وكذا عن كيفية تنظيم أمور دولة الموحدين وطريقة تعامل خلفائها كما وظف بعض الرسائل السلطانية الموحدية.

-**كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان** لابن القطان، وهو كذلك عاش في زمن الموحدين ويعتبر شاهد عيان، وقد أثرى كتابه بالتفصيل في الأحداث الواقعة في المغرب والأندلس في تلك الفترة، كما احتوى على جملة من الرسائل السلطانية الموحدية.

-**كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** لمؤلف مجهول، ويعد هذا الكتاب من أمهات المصادر في القديم والحديث، فيما يخص تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، وقد أفادنا في البحث عن أخبار الدولة الموحدية وكذا بعض الرسائل الخاصة بها.

-**كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب**: لعبد الواحد المراكشي، هو كتاب جامع بين التاريخ والسياسة إلى جانب ذكر بعض المحطات الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية للمغرب، وهو أحد مصادر الدولة الموحدية التي لا يمكن التخلي عنها.

-**كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة** لابن الخطيب، الذي يحتوي على أربعة أجزاء، ولم يقتصر على تاريخ غرناطة فقط، بل كل ما يتعلق بهذه المدينة من أخبار وأوصاف وكل ما يحيط بها ومن نزل بها، استفدنا من الجزء الأول لاحتوائه على أخبار هامة عن الموحدين إلى جانب فصول من عدة رسائلهم.

-**كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** لابن أبي زرع ذكر لنا تاريخ المغرب بصفة عامة وتاريخ مدينة فاس بصفة خاصة، بداية من الدولة الإدريسية إلى غاية الدولة المرينية، عرض فيه أخبار حكام كل دولة، فاستفدنا من ذكره لحكام دولة الموحدين وبعض الأخبار عنها.

-**كتاب صبح الأعشى في كتابة الإنشا** للقلقشندي، تضمن الحديث عن الكتابة الموحدية استفدنا منه بكثرة في تعريف الديوان، وخصائص الرسائل، إلى جانب توظيفه لبعض الرسائل الموحدية.

-كما انتفع البحث من كتب السير والتراجم منها:

-**كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** لابن عبد الملك المراكشي، احتوى هذا الكتاب على رصيد ضخم من الأعلام والشخصيات المعروفة في المغرب والأندلس، كما قدم لنا الكثير من المعلومات حول كتّاب الدولة الموحدية.

-وقد اقتضت الضرورة الرجوع إلى كتب الأدب لإتمام الدراسة ومنها:

-**كتاب إحكام صنعة الكلام** لأبي القاسم الكلاعي، يركز هذا الكتاب على دراسة النثر من كتابة وخط، وترسيل وخطابة ... وفيه يشير إلى تفوق الأندلس على المشارقة في هذا الجانب.

-**كتاب الوزراء والكتّاب** لمحمد الجهشياري، يتحدث فيه عن الوزراء والكتّاب وهم أصحاب العلاقة المباشرة بالرعية، أفادنا في الجانب المتعلق بشخصية الكتّاب.

ب-المراجع:

-**كتاب دولة الإسلام في الأندلس –العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس:** لمحمد عبد الله عنان، ويعد هذا الجزء الثالث من الكتاب ويحتوي على قسمين استفدنا من كليهما في دراستنا عن الدولة الموحدية، تميز هذا الكتاب بوفرة المعلومات وكثرة الروايات وخصّ حديثه عن الدولة المرابطية والدولة الموحدية وهذه الأخيرة اهتم الكاتب بذكر بعض المعارك والحروب التي خاضتها.

-**كتاب الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين:** لفتحي زغروت والذي ركز فيه على النظام العسكري القائم عند دولتي المرابطين والموحدين، وقد احتوى على بعض رسائل الموحدين.

-**كتاب الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس –عصري المرابطين والموحدين–:** لحسن علي حسن يعد أحد المراجع القيمة التي تحدثت عن الدولة المرابطية والموحدية.

ومن مراجع الكتب الأدبية:

-**كتاب أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري:** لفايز القيسي، هذا الكتاب لعب دورا مهما وبارزا في أدب الرسائل، تحدث فيه عن الرسالة بكل تفاصيلها من نشأتها وعواملها وتطورها وموضوعاتها.

-**كتاب الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب**: لحسن جلاب، هو كتاب غني بالمعلومات يدرس الدولة الموحدية، تحدث فيه عن المذاهب ومذهب ابن تومرت وتطوره ثم ربط العقيدة بالأدب أفادنا كثيرا في الجانب الأدبي لما فيه من شرح حول شكل ومضمون الرسائل.

- وقد واجهتنا في هذا البحث عدة صعوبات ولعل أهمها:

- البتر في بعض الرسائل مما أدى إلى صعوبة فهم مضمونها وبالتالي عدم التمكن من الوصول إلى الهدف الموحدي من هذه الرسالة.

- الحديث عن عدة مواضيع في رسالة واحدة مما يثير الشك في حالة ما إذا كان الخليفة يقصد إيصال كل تلك المواضيع أو من أجل موضوع واحد محدد.

- تركيز الرسائل على الجانب العسكري بكثرة وهذا ما يجعل الباحث يلجأ إلى مصادر أخرى للتوسع أكثر.

لكن رغم تلك الصعوبات تمكنا من تجاوزها وإتمام البحث بحول الله.

مدخل

كانت بداية الدولة الموحدية[1] في المغرب ثم امتدت حتى شملت الأندلس[2]، نشأت على أسس دينية وفي ظروف غير مستقرة كانت تشهدها بلاد المغرب، حالة من اللاأمن والاضطرابات والصراعات فظهرت الدولة الموحدية معلنة عن قيامها وحكمها، تمكنت من فرض سيطرتها، حققت تطورا وإنجازا عظيما في حقبة من الزمن، لتضعف في آخر المطاف بعد قرن ونصف من الحكم، وبعد عدة مقاومات ومحاولات.

1-الدعوة وقيام الدولة:

قامت الدولة الموحدية بالمغرب الإسلامي، في شكل حركة إصلاحية دينية سياسية طابعها التجديد هدفها تحقيق وحدة إسلامية عالمية، تأسست على يّد محمـــد بن عبد الله بن تومرت نسبه حسب ما ذكره البيدق من خلال من يثق بقرابتهم له ويجزم على أنه النسب الصحيح في قوله: "هو محمـــد بن عبد الله بن وكليد بن يامصل، بن حمزة، بن عيسى، بن عبيد الله، بن

[1]- الدولة الموحدية: أسسها محمد بن تومرت من سنة 515هـ/1121م عاصمتها مراكش، استطاعت أن توحد المغرب الإسلامي، ينظر: أبي الحسن علي ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص173-183، وانهزامها في معركة العقاب بالأندلس وثورة بني غانية من الأسباب التي عجّلت بسقوطها سنة 668هـ/1269م على يد المرينيين، ينظر: عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963م، ص401-419.

[2]- الأندلس: هي كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم وإنما عرفتها العرب في الإسلام، وهي جزيرة كبيرة، ينظر: شهاب الدين الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م، مج1، ص262-263، وهي شبه مثلث تحيط به المياه من جهاته الثلاث، فمن الجنوب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ومن الغرب بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) ومن الشمال بحر الإنقليشين (بحر الشمال)، ينظر: أبي عبد الله محمد الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، مج1، ص535، افتتح المسلمون جزيرة الأندلس في شهر رمضان سنة 92هـ/711م على يد طارق بن زياد، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص32.

إدريس، بن إدريس بن عبد الله، بن حسن، بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلـــم"[1].

يقول ابن خلدون أن أصل محمـــد بن تومرت[2] من هرغة[3] من قبائل مصمودة[4]، اشتهر بـــ"المهدي"، يسمّى أبوه عبد الله وتومرت[5]، بينما يقول ابن خلكان أن أصل محمـــد بن تومرت من جبل السوس[6] في أقصى بلاد المغرب[7]

[1]- أبي بكر بن علي الصنهاجي (البيدق)، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، 1971م ص 12.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)**، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2000م، ج6، ص301.

[3]- هرغة: قبيلة محمد بن تومرت قبيلة مصمودية اسمها البربري أرغن، مساكنها جنوبي وادي سوس إلى الشرق من مدينة رودانة ينظر: أبي بكر بن علي الصنهاجي (البيدق)، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور، الرباط، 1971م، ص33.

[4]- مصمودة: هي من ولد مصمود بن يونس بربر، وهي أكثر قبائل البربر وأوفرهم، لم تزل مواطنهم بالمغرب الأقصى منذ الأحقاب المتطاولة، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص275.

[5]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص301.

[6]- السوس: تقع في المغرب الأقصى، هي مدن كثيرة وبلاد واسعة يسقيها نهر عظيم يصب في البحر المحيط يسمى وادي ماسة وجريه من القبلة إلى البحر كجري نيل مصر وعليه القرى المتصلة والعمائر الكثيرة والبساتين والجنات بأنواعها، ينظر: مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأبصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، تح: سعد زغلول عبد الحميد دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ص211، البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك**، مكتبة المثنى، بغداد، ص161.

[7]- أبي العباس شمس الدين بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م مج5، ص46.

وحسب ابن القنفذ ولد ابن تومرت سنة 471هـ/1079م[1].

في القرن السادس هجري، بدأ محمـــد بن تومرت دعوته الهادفة إلى بناء دولة إسلامية أساسها التوحيد، أطلق محمـــد بن تومرت اسم "الموحدين" على مناصريه وسميت دولته "دولة الموحدين" رحل إلى المشرق لطلب العلم، تفقه في علوم الدين واللغة حتى سنة 510هـ/1117م، عاد إلى المغرب وفي طريق عودته نشر دعوته بالعواصم التي مر بها كبجاية[2]، مراكش[3] معلما لهم، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر[4].

[1]- أبو العباس أحمد بن الخطيب (ابن القنفذ)، **الفارسيّة في مبادئ الدولة الحفصية**، تح: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر الاسكندرية، 1968م، ص 99، أبي عبد الله محمد الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمـــد ماضود ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص162.

[2]- بجاية: هي مدينة بناها ملوك صنهاجة بعد خراب القيروان في القرن الخامس، هي اليوم في القطر الجزائري، على ساحل البحر، وكانت قاعدة المغرب الأوسط، ينظر: أبي الحسن علي بن سعيد، **رايات المبّرزين وغايات المميّزين**، تح: محمـــد رضوان الداية ط1، دار طلاس، دمشق، 1987م، ص252.

[3]- مراكش: هي بنواحي أغمات في المغرب الأقصى، كان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر فاختطها يوسف وبنى بها القصور والمساكن الأنيقة، ثم اختطها من بعده المنصور "يعقوب عبد المؤمن" له ولخواصّه وبها قصر الخلافة الذي بناه به دور عظيمة، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج7، ص124، أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م، ج5، ص162.

[4]- عبد الرحمن عبان، **الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم على عهد الموحدين دراسة في موضوعاته وبنيته ابن معطي نموذجا**، مذكرة ماجيستير في الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2007-2008م ص9.

من خلال رحلته الطويلة لاحظ ابن تومرت حالة الضعف التي يعيشها العالم الإسلامي في كنف الخلافة العباسية[1] والفاطمية[2]، فالدولة العباسية تسير نحو الهاوية والدولة الفاطمية في صراع معها كما شاهد ابن تومرت نجاح الصليبيين في الوصول إلى الشرق وتأسيس إمارات لهم[3].

من ناحية أخرى المرابطين وخضوعهم لسيطرة الفقهاء في أمورهم السياسية، فعمل على تغيير الأوضاع المتدهورة في العالم الإسلامي، أعلن عن قيام ثورته التي كانت نقطة الانطلاق لتغيير التاريخ في المغرب والأندلس، والتي هزّت الحضارة الإسلامية باعتماده على أسلوب جديد بمفهوم جديد، وهو التجديد في الدين دون المساس بالكتاب والسنة[4].

---

[1]- الدولة العباسية: تنسب الخلافة العباسية إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم، تأسست سنة 132هـ/750م، ينظر: أبي جعفر محمد الطبري، **تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)**، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، ذخائر العرب، دار المعرف، مصر، 1119م، ج7، ص420-421، وفي سنة 656هـ/1258م أخذت التتّار بغداد، وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة، وانقضت دولة بني العباس منها، ينظر: عماد الدين ابن كثير، **البداية والنهاية**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، مصر، 1998م، ج17، ص356.

[2]- الدولة الفاطمية: وتسمى باللدولة العبيدية نسبة إلى مؤسسها عبيد الله المنعوت بالمهدي، تأسست سنة 297هـ/909م وهي خلافة إسلامية ذات مذهب شيعي، امتد حكمها واتسعت ممالكها، واستولى ملوكها على كثير من الممالك المشهورة شرقا وغربا، ببلاد المغرب ومصر والشام وغير ذلك، كانت مصر مقر حكمهم وعاصمة ملكهم، في سنة 567هـ/1171م انتهى حكم الفاطميين على يد صلاح الدين الأيوبي حينما قدم إلى مصر، ينظر: شهاب الدين أحمد النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: علي بوملحم دار الكتب العلمية، لبنان، ج28، ص38-227-229.

[3]- هشام أبو رميله، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ط1، دار الفرقان، نابلس، 1984م ص ص31-32.

[4]- محمـــد بن تومرت، **أعزّ ما يطلب**، تح: عمار طالبي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص5.

كانت بدايته في تأسيس دولته بالمغرب تقوم على ترسيخ فكرة الإمامة ووجوب طاعة الإمام وعصمته -يقصد نفسه- ثم أضاف بعد ذلك "المهدوية"[1].

بدأ يدعو الناس إلى المشاركة في التمرّد ويبين لهم حقيقة هذه الأوضاع المنافية للحق والبعيدة عن تطبيق الشرع سواءا في جانبها السياسي والاجتماعي أو جانبها العقدي الديني، انطلقت ثورته من منطقة السوس بجنوب المغرب وصولا إلى مراكش العاصمة[2]، ساعده في تطبيق فكرته ونشر مبادئه بالمغرب عبد المؤمن بن علي الكومي[3].

حيث يذكر المؤرخون أنه اجتمع به صدفة في "بجاية"، واقتنع عبد المؤمن بدعوة ابن تومرت وبعد ذلك انتقلت الدولة الموحدية من طابعها الديني السياسي إلى طابع عسكري، بعد أن تيقن ابن تومرت من وجوب القضاء على الدولة المرابطية واعتبرها دولة تقوم على البدع والخرافات وخارجة عن نطاق الدين، وعيّن عبد المؤمن بن علي قائدا للجيش الموحدي[4].

---

[1]- عبد الرحمن عبان، المرجع السابق، ص10.

[2]- عبد المجيد النجار، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس هجري**، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1995م، ص80.

[3]- عبد المؤمن بن علي الكومي: مؤسس الدولة الموحدية بعد موت شيخه محمـــد بن تومرت داعية الموحدين، ولد بتاجرة قرب ندرومة بجبال نزارة عام 495هـ/1102م وبويع بعد وفاة ابن تومرت سنة 524هـ/1130م وصفا له الملك عام 541هـ/1147م وتوفي عام 558هـ/1162م وحمل إلى تينملل فدفن بها إلى جنب قبر ابن تومرت، ينظر: علي الجزنائي **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تح: عبد الوهاب ابن المنصور، ط2، الرباط، 1991م، ص42.

[4]- ناصر بلميلود، كريم دمدوم، **الحياة الإجتماعية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين 541-667هـ/1126-1268م** مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2014-2015م ص7.

إذا كان محمد بن تومرت هو الداعي للموحدين والقائم على دولة المرابطين والمسؤول عن التدابير للإطاحة بنظام الحكم وواضع خطط التمرّد التي نفذت بكل تفاصيلها، فإن عبد المؤمن هو رجل الدولة الذي قام بتنفيذ جميع خطط التمرّد، والعنصر الأساسي في الاستيلاء على دولة المرابطين وتحقيق وحدة المغرب الإسلامي، مع سيره وفق ما تمليه مبادئ الدولة الموحدية في جميع جوانبها السياسية، الدينية، الاجتماعية ... الخ[1].

في سنة 516هـ/1123م تمت مبايعة ابن تومرت في تينملل[2] تحت شجرة الخروب وأول من بايعه أصحابه العشرة[3]وأولهم عبد المؤمن بن علي، ولما انتهت البيعة لقبوه بـــ"المهدي" وكان لقبه من قبل "الإمام"[4].

---

[1]- عبد الله كنون، **النّبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط2، طنجة، 1960م، ج1، ص104.

[2]- تينملل: وقد تكتب تينمل أو تانمللت، وقد رسمها أحيانا ابن صاحب الصلاة كلمتين: تين ملل وهي فعلا مؤلفة بالبربرية من تين بمعنى ذات وأيمل بمعنى الحواجز، التي توضع في سفوح الجبال لجعلها صالحة للزراعة والسقي، وهو الجبل الذي كان مهد دولة الموحدين أول الأمر، وبها بنى الإمام داره ومسجده، ومدنها ثم حصنها الخليفة حتى غدت أمنع حصن هذا إلى وعورة مسالكها الأمر الذي يجعل الوصول إليها من أصعب المحاولات، ينظر: ابن صاحب الصلاة، **المنّ بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تح: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م، ص149.

[3]- أصحابه العشرة: هم عبد المؤمن بن علي، عمر بن علي أزناق، إسماعيل بن مخلوف، أبو إبراهيم، إسماعيل ابن موسى أبو يحيى أبو بكر بن تنجيت، أبو عبد الله بن سليمان، عبد الله بن ملويات، أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني، أبو محمـــد عبد الله البشير كان محمد بن تومرت يعقد الأمور العظام مع أصحابه العشرة، لا يحضر معهم غيرهم، ينظر: مؤلف مجهول **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكّار، عبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، ص108 Rachid Bourouiba, Ibn Tumart, Société Nationale d'edition et de Diffusion, Alger, 1982, p77-78.

[4]- الزركشي، المصدر السابق، ص6، البيدق، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، ص34.

2-عصر القوة والإزدهار:

بعد انهزام الموحدين ضد الدولة المرابطية في معركة البحيرة[1] سنة 524هـ/1130م بدأت دولة الموحدين بوفاة ابن تومرت سنة 524هـ/1130م، تشهد ميلاد جديد انحصرت فيه الخلافة في أسرة بني عبد المؤمن، وكان عبد المؤمن بن علي أول خليفة تولى الحكم بعد وفاة بن تومرت[2].

وفي سنة 528هـ/1134م لقب عبد المؤمن بأمير المؤمنين[3]، وكان الرجل الثاني بعد ابن تومرت والمؤسس الحقيقي والرسمي لدولة الموحدين، تمكن من تأسيس الدولة وبنائها بطريقة متقنة[4].

---

[1]- البحيرة: عرفت البحيرة في مراكش منذ أواخر أيام المرابطين، فكانت ملتقى لمعركة بين عبد المؤمن والمرابطين لكن الموحدين عُنوا بها كامل العناية واتخذوا منها مكانا لتجمعهم، وهي تحتوي على بركة مائية واسعة تحيط بها الخضرة بالإضافة إلى أروقة يأوي إليها رجال الحكم، والبحيرة اليوم هي –فيما يقال- المكان المعروف باكدال في مراكش ينظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص344.

[2]- أبو العباس أحمد الغبريني، **عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت ص28، E. Fagnan, Histoire Des Almohades D'Abd el-wah'id Merrakechi, Alger, Abolphe Jourdan, Libraire-éditeur, 1893, p169-171.

[3]- عبد المؤمن هو أول من تسور على اللقب بأمير المؤمنين من غير جنس العرب، ولم يتجرأ أحد من العجم قبله على هذه الدعوة وكانت سبب انتقاض المغرب عليه، ينظر: أبو العباس أحمد الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري محمـــد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء 1954م، ج2، ص98.

[4]- راغب السرجاني، **قصة الأندلس من القتح إلى السقوط**، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م، ص558-569.

وبعد قضائه نهائيا على دولة المرابطين عام 543هـ/1148م، أصبحت دولته تنعم بالرخاء والترف والازدهار وشملت هذه الفترة خلافة يوسف[1] ويعقوب المنصور[2] وكذا محمـــد الناصر[3].

حققت فيها العديد من الانتصارات، ففي سنة 555هـ/1160م تمكن عبد المؤمن من توحيد المغرب كله وهو حدث كافٍ لتخليد ذكرى عبد المؤمن فكيف لو علمنا أنه في نفس السنة عبر إلى الأندلس وضمها إلى دولته، فجمع بذلك المغرب والأندلس تحت حكمه[4]، كما لا ننس توحد المغرب الإسلامي سياسيا ومذهبيا بثقافة وعقيدة واحدة هي الأشعرية، ومذهب واحد وهو مذهب الإمام مالك[5].

[1]- يوسف: يكنى أبو يعقوب، هو ولد عبد المؤمن وخليفته، وقد حكم المغرب والأندلس من سنة 558-580هـ/1162-1184م وتوفي متأثرا بجراحه في موقعة شنترين التي هزم فيها الموحدون ربيع الآخر سنة 580هـ/1185م، ينظر: لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمـــد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م، مج1، ص184 ملك من طرابلس إلى جزيرة شقر بالأندلس، وفي مدته سنة 571هـ/1176م كان الطاعون بمراكش، ينظر: مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ص158.

[2]- يعقوب المنصور: ثالث الخلفاء الموحدين، يكنى أبا يوسف ويلقب بالمنصور، ولد سنة 545هـ/1151م وبويع بعد وفاة والده يوسف، في عهده كانت الهزيمة العظمى على النصارى التي لم يشهد مثلها والتي تسمى وقعة الأرك توفي سنة 595هـ/1199م، ينظر: مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ص159.

[3]- محمـــد الناصر: هو محمـــد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالناصر، رابع خلفاء الموحدين ولد سنة 576هـ/1181م وبويع سنة وفاة والده المنصور، وفي عهده حدثت واقعة العقاب التي انهزم فيها المسلمون فضعف بعدها أمر الدولة الموحدية، توفي سنة 610هـ/1214م، ينظر: علي الجزنائي، المصدر السابق، ص44.

[4]- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مراجعة: عادل أبو المعاطي، محمد دياب، ط5، دار الرشاد، القاهرة، 2000م.

[5]- محمـــد بن تومرت، المصدر السابق، ص7.

اتسعت الرقعة الجغرافية للدولة الموحدية، فقد امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى طرابلس شرقا ومن الأندلس شمالا إلى قلب الصحراء جنوبا[1]، هذا الاتساع الكبير الذي حققه خلفاء الموحدين وكل هذه المناطق الشاسعة جعلوها خاضعة لسلطانهم ونفوذهم مما أكسبهم الشعور بقوة مركزهم فاتخذوا لأنفسهم ألقاب الخلافة[2].

لما تولى يوسف بن عبد المؤمن الحكم قام بالعديد من الفتوحات، ويعد يوسف أول خليفة من خلفاء الموحدين يقود الجيش بنفسه، ثم بعده في خلافة يعقوب المنصور والذي سمي عهده بالعصر الذهبي، تمكن من إخماد الفتن الداخلية التي تعرضت لها الدولة بسبب ثورة بني غانية[3] سنة 583هـ/1188م، وامتلاكه لجيش قوي كفيل بمحاربة العدو وكذا أسطول ضخم ذو هيبة وعظمة[4] وحقق انتصارا عظيما ضد النصارى خلده التاريخ في معركة الأرك[5] سنة 591هـ/1195م.

---

[1]- عبد المجيد النّجار، **المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ص378.

[2]- حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ط1، دار العلوم، القاهرة، 1980م، ص56.

[3]- بنو غانية: هم منسوبون إلى أمهم الغانية أي التي من غانة، وكانت عادة المرابطين أن ينسبوا كل ابن من أبنائهم إلى أمه (لأن غالبيتهم كانوا يعددون الزوجات والإماء) وكان أبوهم علي المسوفي من كبار رجال يوسف بن تاشفين، وخلفه أبنائه يحيى ومحمـــد وكان من أنجب شباب الدولة المرابطية، ينظر: عبد الواحد المراكشي، **وثائق المرابطين والموحدين**، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، 1997م، ص151.

[4]- عبد المجيد النّجار، المرجع السابق، ص378.

[5]- الأرك: Alarcos، ليس علما على بلدة أو مدينة، وإنما هو إسم سهل واسع وراء جبال الشارات Sierra Morena وكانت هذه الجبال قد غدت على عهد الموحدين حاجزا بين الأندلس المسلمة ودولة قشتالة النصرانية، ينظر: مؤلف مجهول **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ص159.

وفي عهد محمـــد الناصر تم القضاء على ثورة بني غانية بصفة نهائية، بعد أن انتصر عليهم الموحدون نتيجة محاولات عديدة وجهد كبير[1].

3-عصر الضعف والانهيار:

مع بداية القرن السابع هجري، أصبحت الدولة الموحدية تسير في طريقها نحو الفناء ظهرت بوادرها الأولى منذ عهد الناصر، بالرغم من انتصاره على بني غانية إلا أنه هزم أمام النصارى في معركة حصن العقاب[2] 609هـ/1212م، التي أثرت وتركت بصمة وخيمة لدى الموحدين.

وفي عهد ابنه الخليفة يوسف المستنصر بالله[3] انتشرت الحروب والفتن، ولجأ الخليفة إلى حياة الترف والراحة غير مبال بأمور الخلافة والرعية، وكانت الدولة الموحدية قد اقتربت خطوة من الهلاك بظهور حوادث أخرى، منها النزاع على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة، الفشل في تسيير أمور الدولة وخروج حواضرها من تحت سيطرتها[4].

---

[1]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ص274-275.

[2]- العقاب: هو موقع بين جيان وقلعة رباح، وهو ليس علما على بلدة أو مدينة، وإنما هو إسم لهذه المعركة نظرا لكونها وقعت فعلا في عقاب (جمع عقبة) وأوعار بجبال الشارات، ينظر: مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ص161، محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص416.

[3]- يوسف المنتصر بالله: كنيته أبو يعقوب، تلقب بالمنتصر بالله، لم يعقب، بويع وسنه عشرة أعوام، كانت خلافته عشر سنين وأربعة أشهر ويومين، ومدته كانت آخر ضخامة الدولة الموحدية، توفي سنة 620هـ/1214م، ينظر: مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ص161-162.

[4]- شرقي نوارة، **الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524-667هـ/1126-1268م)**، مذكرة ماجيستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008م، ص25.

ومما زاد الأمر سوءا ظهور بنو مرين[1] في عهده وظلت أمور الدولة في تدهور[2].

في سنة 615هـ/1219م ضعف ملك الموحدين، وظهر فيه تدهور في الأحوال والنقص بشكل بارز، وأصبح خلفائهم ليس لهم سيطرة وحكم على الأرياف واقتصر حكمهم فقط في المدن الخاصة.

وسنة616هـ/1220م كثرت الفتن والمشاكل والاضطرابات بين قبائل المغرب، من انعدام الأمن وخروج القبائل عن طاعة الحاكم، وتفشي المنكر والفساد، وسيطرة القوي على الضعيف ...الخ[3]، ذلك أن قبائل مصمودة الذين تمكنوا من بناء الإمبراطورية لم ينجحوا في الحفاظ عليها لأنهم أبقوا الشعوب الضعيفة في حالة تبعية وخضوع دائم دون أن تشاركهم في إدارة شؤون الإمبراطورية[4].

---

[1]- بنو مرين: هم من قبائل زناتة، كان موطنهم الأول بلاد القبلة من زاب إفريقية إلى سجلماسة، وكانوا في طاعة الموحدين فلما كانت هزيمة العقاب ضعف أمر الموحدين، وبدأ نجم المرينيين بالظهور، وبرز فيهم أبو محمد عبد الحق بن محيو المريني الذي تنسب الدولة أحيانا إليه فيقال الدولة المرينية العبد الحقية، واستر نجم المرينيين بالظهور ونجم الموحدين بالأفول حتى استولى بنو مرين على أمصار المغرب الرئيسية، كمراكش وسلا والرباط وفاس وغيرها، وانتهت محاولات فلول الموحدين نهائيا بمقتل أبي دبوس سنة 667هـ/1269م على يد يعقوب المريني واستقر المرينيون في المغرب الأقصى وامتدت حدودهم حتى شملت المغرب كله واستمرت الدولة المرنية إلى أواسط القرن التاسع هجري حيث خلفهم بنو وطاس، ينظر: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر، **أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظميني وإياه الزمان**، تح: محمد رضوان الداية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م، ص67.

[2]- شرقي نوارة، المرجع السابق، ص25.

[3]- علي بن أبي زرع، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص44.

[4]- روجر لي تورنو، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م، ص124.

إذا كانت دولة الموحدين قد تعرضت لضربة قاسية هددت ودمرت ركيزتها السياسية والعسكرية فإنها تعرضت لما هو أشد خطورة ألا وهو الانقلاب الثوري ضد العقيدة الموحدية، ففي فترة حكم أبو العلاء إدريس الأول الملقب المأمون[1] الذي يعد آخر خلفاء الموحدين أعلن عن بطلان العمل بمذهب محمد بن تومرت وأمر بعدم ذكر اسمه في الخطب والسكة والرسائل، كل هذه العوامل تسببت في ضعف سلطان الموحدين سياسيا وعسكريا وعقائديا وكانت سببا قويا في قيام الثورات في المغرب والأندلس ضد الخلافة الموحدية، وذلك ما أدى إلى تراجعها وزوالها نهائيا سنة 668هـ/1269م بعد أن كانت من أعظم الدول الإسلامية وأول من وحد بلاد المغرب لأول مرة في التاريخ[2].

[1]- أبو العلاء إدريس الأول الملقب بالمأمون: هو ثامن خلفاء الموحدين بويع سنة 624هـ/1227م في عهده خربت البلاد وظهرت المجاعة والفتنة، توفي بمراكش عام 629هـ/1232م، ينظر: علي الجزنائي، المصدر السابق، ص45.

[2]- عاطف منصور رمضان، **نقود الثوار والخارجين في نهاية عصر الموحدين بالمغرب والأندلس (625-668هـ/1228-1269م)**، حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة، العدد: 12، 2002م، ص5-6.

الفصل الأول: الدراسة الفنية للرسائل السلطانية في عهد الموحدين

أولا: التطور التاريخي لديوان الرسائل

ثانيا: الرسائل السلطانية تعرفيها، أهميتها، مميزاتها وخصائصها

ثالثا: مشاهير كتّاب الرسائل السلطانية الموحدية

إنّ الدولة الموحدية من بين الدول التي أعطت أهمية بالغة لنظام الدواوين أو الرسائل بوجود كُتّاب أكفاء يتقنون هذه المهنة باحتراف، وكتابة الرسائل السلطانية تعتبر ضرورة لازمة لإقامة دولة متكاملة، تنظم أمورها في كافة الميادين، خاصة بعد اتساع الرقعة الجغرافية للدولة، فالرسائل التي تصدر عن السلطة هي التي تحمل في طياتها وقائع الأحداث التي يمكن من خلالها معرفة حركة الدولة الموحدية.

أولا: التطور التاريخي لديوان الرسائل السلطانية

ظهرت الكتابة منذ العصر الجاهلي، وكانت التجارة العامل الأول الذي أدى إلى ظهورها في بلاد العرب، لذلك حيثما وجدت التجارة نجد الكتابة منتشرة بكثرة، ولم يكن بمقدور التجار العرب التخلي عنها سواءا في معاملاتهم الداخلية أو الخارجية، إذ تحتمت على التاجر إيجاد طريقة يعرف بها حق الأرباح لكل شخص في القافلة ممن يعملون معه ولم يجد أيسر من الكتابة، كذلك كان التجار بحاجة إلى كتابة عهود تضمن لهم الأمان في حالة مرور القوافل ببعض القبائل، وهذه العهود منها ما هو تجاري ومنها ما هو سياسي، بل تتعداها إلى عهود خارجية تعقد بينهم وبين الرومان أو الفرس أو الحبشة وغيرهم، سواءا لجلب التجارة أو السماح بالمتاجرة في تلك البلدان[1].

[1]- حسين نضار، **نشأة الكتابة الفنّية في الأدب العربي**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص26.

لا توجد بين أيدينا وثائق ملموسة وصحيحة عن العصر الجاهلي تدل على أن الجاهليين عرفوا الرسائل الأدبية وتواصلوا بها، لكن هذا لا يعني أنهم لم يعرفوا الكتابة، بل عرفوها لكن صعوبة استخدامها جعلهم يكتفون باستعمالها فقط في الجانب السياسي والتجاري دون المجال الأدبي من شعر ونثر[1].

عرفت مكة المكرمة نوعا من الحكومة أثناء حياة الجاهلية، في بيت يتم فيه تبادل الآراء حول المشاكل التجارية والسياسية والاجتماعية، كما تعقد فيه المعاهدات السياسية لمنع العدوان من الدخول أو ضمان سلامة الطرق، أو الحصول على مساعدات عسكرية، وغيره مما يتم في وقتنا الحالي بين الدول[2].

لما جاء الإسلام اعتنى المسلمون بالكتابة وشغلت جلّ اهتمامهم، وذلك لعلو شأنها في الإسلام فمن شرف الكتابة ما ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه، قال تعالى: "نُ. وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ"[3] إنّ القلم أول من آمن وأول من أسلم وكتب، قال الله تعالى: "هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"[4]، وفي قوله عزّ وجلّ: "وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا

[1]- نسرين طاهر ملك، **النثر الجاهلي والإسلامي والأموي-دراسة تحليلية-**، مجلة ايكتا ايسلاميكا، العدد: 1، إسلام آباد 2014م، ص114.

[2]- حسين نضار، المرجع السابق، ص27.

[3]- سورة القلم، الآية 1.

[4]- سورة الجاثية، الآية 69.

لِهَذَا الكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَا أَحْصَاهَا"[1]، وقوله تعالى: "وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ"[2] وذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم يطول ذكرها وشرحها، فلولا فضل الكتابة لم يجعل الله تعالى أهلها في هذه المرتبة والمكان العالي.

من فضل الكتابة وشرفها أن الكتّاب في قديم الدهر وحديثه يتحملون مسؤولية الكتابة فيما يتعلق بالملك والخلافة دون غيرهم[3]، قال الله تعالى: "اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الذِي عَلّمَ بِالْقَلَمِ. عَلّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"[4]، فهذه النعمة التي منّ الله تعالى علينا بها ومنحنا إياها، عرفنا بها حقائق الإسلام، وتفقهنا في أمور ديننا وبها استدللنا على السبل التي تقودنا إلى دار السلام، قال بعض العلماء "الكتابة من حلي الملائكة"[5]، وفي قوله تعالى: "كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ"[6] فالواجب على من منحه الله تعالى هذه الفضيلة ومكّنه من هذه الرفعة، ووفقه في معرفة أصول الكتابة، أن يطهرها من دنس القبائح[7].

---

[1]- سورة الكهف، الآية 49.

[2]- سورة البقرة، الآية 283.

[3]- أبي جعفر النحاس، **صناعة الكتّاب**، تح: بدر أحمد ضيف، ط1، دار العلوم العربية، لبنان، 1990م، ص269-271.

[4]- سورة العلق، الآية 3-4-5.

[5]- أبي القاسم محمد الكلاعي، **إحكام صنعة الكلام**، تح: محمـــد رضوان الدّاية، دار الثقافة، لبنان، 1966م، ص39-40.

[6]- سورة الانفطار، الآية 11-12.

[7]- أبي القاسم الكلاعي، المصدر نفسه، ص40.

"وبالكتابة، جمع القرآن وحفظت الألسن والآثار ووكدت العهود، وأثبتت الحقوق وسيقت التواريخ وبقيت السكوك، وأمن الإنسان النسيان وقيّدت الشهادات"[1].

استخدمت الرسائل منذ بداية ظهور الإسلام، فالرسول صلى الله عليه وسلـــم كان يراسل ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام مستعملا في ذلك كتابا يكتبون عنه[2]، وخصّ المسلمون الرسائل الرسمية بديوان أطلقوا عليه ديوان الرسائل[3]، وعمر بن الخطاب[4] رضي الله عنه هو أول من دون الدواوين[5]، فقد برز نوع من الإنشاء من أروع ما يكون وأحسن الأمثلة عليه مخاطبات الخلفاء والقادة، وكلها من السهل الممتنع التي برزت في صدر الإسلام[6].

---

[1]- أبي بكر محمد الصولي، **أدب الكتاب**، المكتبة العربية، بغداد، 1923م، ص24.

[2]- أبي عبد الله محمد الجهشياري، **كتاب الوزراء والكتّاب**، دار الفكر الحديث، لبنان، 1988م، ص12-13، زريف مرزوق المعايطة **نشأة الدواوين وتطورها في صدر الإسلام**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، 2000م، ص132.

[3]- عبد الحليم حسين الهروط، **الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر**، مذكرة ماجيستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1994م، ص23.

[4]- عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هو عمر ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، أمير المؤمنين، أبو حفص، القرشي، العدوي، الفاروق، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أشراف قريش وإليه كانت السفارة في الجاهلية، وهو أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الخلفاء الراشدين حيث دامت فترة حكمه عشر سنوات (13- 23هـ) وأحد أصهار النبي صلى الله عليه وسلـــم، وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم، وتوفي سنة 23هـ/644م، ينظر: جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ط1، دار ابن حزم، لبنان 2003م، ص89-90.

[5]- أبو الفتح ناصر الدين المطرزي، **المُغرب في ترتيب المعرب**، تح: محمود فاخوري، ط1، مكتبة أسامة بن زيد، سوريا 1979م، ج1، ص299، الجهشياري، المصدر السابق، ص17، أحمد الاسكندري ومصطفى عناني، **الوسيط في الأدب العربي وتاريخه**، ط1، القاهرة 1919م، ص111.

[6]- جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، دار الهلال، القاهرة، ج1، ص196.

شملت الكتابة جوانب ومجالات جديدة لم يعرفها العرب قبل الإسلام كالمعاملات والبيوع والمواثيق وكل ما يتعلق بتنظيم أمور المسلمين، وأصبحت الكتابة جزءا أساسي من أعمال الدولة الأساسية لدى الخلفاء الراشدين في الدواوين سواءا في العلاقات السياسية أو الاقتصادية بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة من تقسيم للغنائم وغيرها[1].

كانت الكتابة في الجاهلية معروفة لكن غير مألوفة هذه الكتابة اتسعت مع الإسلام ثم زاد اتساعها في العصر الأموي[2]، حيث عرف العرب فكرة الكتاب وألفوا كتبا كثيرة بعضها ديني يخص الفقه والتشريع الإسلامي، وازدهرت الكتابة التاريخية، فكتب المؤرخون عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلـــم[3] فأصبحت الرسائل حتمية ضرورية لتسيير أمور الدولة إذ أنشئ في الدولة الأموية ديوان خاص بها يعرف بـــ"ديوان الرسائل" يعتبر من أقدم الدواوين في الإدارة الإسلامية كما اشتهر بـــ"ديوان الإنشاء" لقيامه بإنشاء وثائق ومراسيم تولية المناصب وشمل العقود والعهود والرسائل السلطانية الرسمية وجميع الكتب التي يوصي ويأمر بها السلطان، ويعد

[1]- نسرين طاهر ملك، المرجع السابق، ص116-117.

[2]- محمـــد فروخ، **تاريخ الأدب العربي –الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية–**، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م، ج1، ص379.

[3]- نسرين ملك، المرجع نفسه، ص117.

ديوان الرسائل أهم الدواوين في الدولة العربية في جميع أطوارها[1]، فهو أول ديوان وضع في الإسلام[2].

يقول القلقشندي "اعلم أن هذا الديوان –ديوان الإنشاء– أول ديوان وضع في الإسلام وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلـــم كان يكاتب أمرائه، وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكاتبونه"[3].

لكن نتيجة لاتساع ملك الدولة الأموية قررت أن تنشأ ديوان يتولى تسيير شؤونها، ومن خلال هذا الديوان يتم تنفيذ ما تحمله الرسائل من معاني من قبل السلطان إلى الرعية أو الولاة أو القادة في مختلف المناطق التابعة للدولة وبعد ذلك ترد الإجابة إليه[4].

يعرف القلقشندي الديوان بأنه: "هو اسم المكان الذي يجلس فيه الكتّاب والديوان هو الأصل الذي يرجع إليه ويعمل بما فيه"[5]، وتطور بسرعة وزاد الاهتمام به، لأن أمور السلاطين

---

[1]– رندا حسين دبوس، **الرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني (232–334هـ) –دراسة في المضامين والأساليب** –مذكرة ماجيستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعية الأردنية، 2009م، ص5.

[2]– زريف مرزوق، المرجع السابق، ص132.

[3]– القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص91.

[4]– محمـــد نبيه حجاب، **بلاغة الكتّاب في العصر العباسي –دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب–**، ط2، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، 1986م، ص ص95-96.

[5]– القلقشندي، المصدر نفسه، ج1، ص90.

تتم بواسطته، فيما يخص الكتابات والخطابات التي تبدأ وتنطلق منه، فهو أهم ديوان تعتمد عليه سياسة الدولة[1].

يعد ديوان الرسائل اللسان الذي يتكلم به الخلفاء وتحتوي الرسائل الرسمية السلطانية على مواضيع ومضامين متعددة تتعلق بشؤون الدولة[2].

يحتاج الكاتب فيها أن يكون ماهرا في طريقة الترسل حريصا في معرفة المعاني، لأن في ذلك ما يرفع من شأنه[3].

عيّن السلاطين فئة معينة من أدباء المغرب والأندلس المميزين لكي يقوموا بكتابة رسائلهم إلى جانب ديوان الإنشاء هناك كتّاب يختصون بأمور الحرب ويعرفون بكتّاب الجيش هذا يعني أن للخليفة ديوانان تحت مراقبته المستمرة والدائمة هما ديوان الإنشاء وديوان الجيش ولكل منهما كاتب أول هو المسؤول والمشرف على جماعة من صغار الكتاب الذين كانوا نساخا أو يقومون بمراسلات ثانوية[4].

---

[1]- عبد الحليم الهروط، المرجع السابق، ص32.

[2]- مزوزية حداد، **سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية (515-668هـ/1121-1269م)**، مذكرة ماجيستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012-2013م، ص6.

[3]- قدامة بن جعفر، **الخراج وصناعة الكتابة**، تح: محمـــد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981م، ص38.

[4]- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م، ج1، ص319.

وبقيام الدولة العباسية أصبحت الكتابة أعظم شأنا وأرفع قدرا وزاد الإقبال عليها بعد أن تنوعت مجالاتها واتسعت، وصار الكُتّاب في مركز سامي عند الخلفاء والوزراء والولاة وكان للنوابغ منهم دور بارز في تنظيم أمور الدولة في جوانبها السياسية والإدارية والمالية[1].

إن كتّاب العربية العظماء يرون أن هذه المهنة صناعة لابد لمن يمتهنها أن يحترفها ويتقنها وأن يكون عارفا ملما بها، وأن لفظ الكتابة معنيٌ بصناعة الإنشاء أو الرسائل "حتى كانت الكتابة إذا أطلقت لا يراد بها غير كتابة الإنشاء والكاتب إذا أطلق لا يراد به غير كاتبها"[2].

لابد للكاتب أن يتحلى بصفات الأدب والحلم والدين والعلم والعقل والنصيحة والصبر وان يكون ذو همة عالية فإن بهم يفلح الأمر، وهذه الصفات تجعل الكاتب قريبا من الأمراء في منزلة عظيمة، ومتى لم يكن متصفا بهذه الصفات تسبب في ضرر وخيم وخفض من منزلته ورتبته[3]، وفي ذلك نجد ابن خلدون يثني على الكتّاب ويظهر الخصال الواجب التمسك بها كالأدب والعلم والمروءة ... الخ، وبيّن أن بهم تتحسن أمور الخلافة وشؤون البلاد، وبأخذ السلطان بنصيحتهم تتوطد علاقته برعيته، ولا يمكن للسلطان أن يتخلى عن الكتّاب "فموقعكم

[1]- ناظم رشيد، **الأدب العربي في العصر العباسي**، دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، 1989م، ص151.

[2]- أبي الحسن علي بن الأثير، **الوشي المرقوم في حلّ المنظوم**، تح: يحيى عبد العزيز، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة 2004م، ص15.

[3]- أبي الحسن علي بن الدريهم، **منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب**، تح: سيد كسروي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002م ص198.

من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبصرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون"[1].

أصبح للكتابة منزلة خاصة، فصارت ركن أساسي من أركان تسيير الدولة إذ لا تستطيع الدولة أن تتخلى عن التوثيق، بعد توسع نطاق نفوذها وزيادة مساحتها وكثرة مهامها وتعددت علاقاتها، وقسمت الكتابة الرسمية إلى قسمين: كتابة الرسائل وكتابة الأموال، لكل منهما مهام محددة وتعد كتابة الرسائل أو الإنشاء أفضل مراتب الكتابة[2].

بعد توسع البلاد و استيلاء ملوك الطوائف على المغرب واستمرارية تتابع الدول[3]، تمكن المغاربة والأندلسيون من احتلال مكانة راقية في النثر والشعر، والوصول إلى مستوى المشارقة، إذ أن ابن بسام الشنتريني بين ذلك في كتابه بقوله: "... لأن أهل هذه الجزيرة -منذ كانوا- رؤساء خطابة، ورؤوس شعر وكتابة"[4]، وحين قامت الدولة المرابطية أنشأ يوسف بن تاشفين[5]

---

[1]- عبد الرحمان بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تح: علي عبد الواحد وافي، ط7، دار النهضة، مصر، 2004م، ج2، ص649.

[2]- عبد الحليم الهروط، المرجع السابق، ص23.

[3]- مزوزية حداد، المرجع السابق، ص5.

[4]- ابن بسام الشنتريني، **الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، 1997م، مج1، ص14.

[5]- يوسف بن تاشفين: هو يوسف بن تاشفين اللمتوني، زعيم المرابطين ومؤسس دولتهم بالمغرب والأندلس، وأعظم أعمال حياته هو عبوره إلى الأندلس، نصرة لأمرائها ملوك الطوائف حينما اشتدت عليهم وطأة النصارى، ولقاؤه مع جيوش الأندلس، لجيوش النصرانية المتحدة في سهول الزلاقة سنة 479هـ/1086م وإحرازه عليهم نصره الباهر الذي أنقذت به الأندلس من الفناء، والذي مد في حياتها قرونا أخرى، توفي سنة 500هـ/1106م، ينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق ص107.

الدواوين إذ يقول ابن عذاري:" فدون يوسف الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد"[1].

كان لازدهار الكتابة في الفترات السابقة تأثيره في ازدهار الكتابة زمن الموحدين، فبعد قيام الدولة الموحدية سنة 515هـ/1122م[2] اعتمد الخلفاء الموحدون في نشر دعوتهم على الرسائل بالدرجة الاولى لما تحتويه من معاني والفاظ وأساليب بلاغية تخاطب العقل والوجدان معا[3].

بدأت دعوتهم في الانتقال من مدينة تينملل إلى مراكش، وكان المؤسس الروحي لدولة الموحدين محمـــد بن تومرت يكتب رسائله بنفسه، لكن مع ذلك كان يطلب من أحد أصحابه المقربين إليه تحبيرها ونشرها بين الناس[4]، فلم تكن الرسالة السلطانية تقتصر فقط على كاتب الرسالة في العصر الموحدي بل شارك الخلفاء وحتى الأمراء في تحبيرها مثل الرسالة التي أنشأها المأمون وكتبها بخط يده وأرسلها إلى كافة الدول[5].

---

[1]- ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، لبنان، 1983م ج4، ص23.

[2]- محمـــد عبد الرحمان خياري، **رسائل موحدية جمعا وتحقيقا ودراسة**، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعية الأردنية، 1996م، ص27-28.

[3]- محمـــد عبد الرحمان خياري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، رسالة ماجيستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1991م، ص49.

[4]- محمد خياري، **رسائل موحدية جمعا وتحقيقا ودراسة**، ص29.

[5]- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ص164.

فالرسالة الصادرة عن الخليفة لها وزن وقيمة كبيرة وصدى في مختلف المناطق التابعة للدولة الموحدية وكان الكاتب الديواني عبارة عن دعاية تنشر من خلالها القوانين وتبث آراء الحكام حول إصدارها لهذه القوانين إلى جانب ذلك تخبرنا عن الاحداث اليومية كما تبشر الناس بالانتصارات والفتوحات فالرسالة الديوانية هي أهم مصدر يجب العودة اليه لمعرفة الحادثة التاريخية كما حدثت في الأصل[1].

استخدم الكتّاب لفظ كتاب للدلالة على الرسالة كقولهم: "فإذا وصلكم كتابنا هذا" أو "ووصل كتابكم" وغيرها من الأمثلة الدالة على ذلك، كما أعطى الكتاب أهمية بالغة لبنية الرسالة من حيث الشكل والمضمون من حيث البداية والعرض والخاتمة فأحسنوا ذلك كما تنوع استعمالهم للأساليب البديعية وأصبحت الكتابة مهنة لهم يعيشون عليها ولا يتمكن أحد من الوصول إلى هذا المنصب إلا إذا كان كاتبا كفئا متميزا[2].

قسمت الكتابة في المغرب والأندلس حسب المقريّ إلى قسمين: "أعلاهما كاتب الرسائل وله حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس وأشرف أسمائه الكاتب ... وأهل الأندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السّمة، لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة، فإن كان

[1]- محمـــد خياري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، ص49.

[2]- محمد خياري، **رسائل موحدية جمعا وتحقيقا ودراسة**، ص29-30.

ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلّط الألسن في المحافل والطّعن عليه وعلى صاحبه"[1].

من أهم العوامل التي ساهمت في تطور فن الرسائل لدى الموحدين هو التطور الكامن في مختلف شؤون السلطة الموحدية من تنظيم إداري متقن وتحسن في العلاقات الاجتماعية والسياسية وكذا العلاقات الخارجية، إضافة إلى ذلك المنصب المرموق الذي احتله الكتاب في تلك الفترة مما أدى إلى زيادة عددهم سواءا في المغرب أو الأندلس[2]، فكاتب الرسائل تجمعه بالخليفة علاقة وديّة ورابط قوي بسبب طبيعة عمله، كما كان الخليفة يحسن إليهم من كرمه وفضله، ففي حالة ما إذا نقل الكاتب إلى منصب آخر ندم على منصبه السابق واعتبره حظ سيئ له[3].

أولت الدولة الموحدية اهتماما بإنشاء الدواوين المختلفة والتي توظف في خدمة البلاد[4] ويُعرف الديوان عند الموحدين "بدار صنعة الإنشاء" المخصصة لحفظ الدواوين والسجلات، وهو المكان الذي تتم فيه عملية الكتابة الرسمية من طرف الكتّاب[5].

---

[1]- أحمد بن محمد المقري، **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، مج1، ص217.

[2]- محمد خياري، **رسائل موحدية جمعا وتحقيقا ودراسة**، ص28.

[3]- عز الدين عمر موسى، **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1991م ص165.

[4]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص147.

[5]- مزوزية حداد، المرجع السابق، ص4.

وأول هاته الدواوين ديوان الإنشاء الذي يختص بالمراسيم السلطانية والرسائل الموجهة إلى الولاة والقضاة، وقد عين فيه خلفاء الموحدين نوابغ مبهرة من أدباء الأندلس والمغرب الذين قاموا بكتابة رسائل السلاطين[1].

يعتبر ديوان الإنشاء الذي يشمل الكتابة والدواوين أحد النظم الإدارية المهمة في الدولة الموحدية وجانب مهم من الجوانب الحضارية لها[2].

للرسالة السلطانية قيمة كبيرة لا تقدر بثمن فهي وثيقة رسمية، وشاهد عيان على الحوادث التاريخية وزمن وقوعها ويعود الفضل والامتنان لكاتبها الذي ساهم في نشرها واستمرارية بقاءها[3].

ثانيا: الرسائل السلطانية تعريفها، أهميتها، مميزاتها وخصائصها

بعد أن احتلت الرسائل السلطانية منصبا مرموقا داخل المركز الرئيسي للسلطة وأصبح يعتمد عليها الخلفاء والسلاطين في تسيير أمور دولتهم السياسية بالدرجة الأولى ثم في بقية الميادين فقد قامت بأداء عملها على أكمل وجه في التعريف بمحتواها للهدف المراد تبليغه

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص147.

[2]- بغداد غربي، **أضواء على خطة الكتابة على عهد الموحدين**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد: 12، شلف، 2015م ص226.

[3]- محمد خياري، **رسائل موحدية جمعا وتحقيقا ودراسة**، ص33.

الرسالة فإن هذا أحد الأسباب الهامة لتحديد مفهوم الرسائل السلطانية والتعرض إلى تبيان أهميتها.

1-تعريف الرسائل السلطانية:

وتعرف كذلك بالرسائل الرسمية أو الديوانية، يقول القلقشندي "فأمّا كتابة الإنشاء أو الرسائل الرسمية، فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني: من المكاتبات والولايات... وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها"[1].

وهي تلك الرسائل التي تهتم بمعالجة شؤون الإدارة والتنظيم الداخلي الذي يتعلق بالحياة العامة وأحوال الرعية[2]، باعتبار "أن الرّعية من السلطان، بمكان الأشباح من الأرواح، صلاحهما وفسادهما متّصلان ونماؤهما ونقصانهما منتظمان، إذ كانت الرعية عنصر المال، ومادّة الجباية، بها قوام المُلك، وعزّ السلطان، ورزق الأجناد، التي بها يقاتل العدو ويُنصر الدين، وتُحمى الحرم"[3].

عرّفت الرسائل السلطانية والكتابات الرسمية بالعديد من التعريفات من قبل الدارسين المعتنين بهذا المجال وبالرغم من الاختلاف الشكلي في تعريفاتهم إلا أنها من الناحية المعنوية

---

[1]- القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص54.

[2]- فايز عبد النبي القيسي، **أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري**، ط1، دار البشير، الأردن، 1989م، ص111.

[3]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ص120.

تصب في معنى مشترك يتلخص في وصفها أنها رسائل صادرة عن الخلفاء والسلاطين أو عن عمالهم من الوزراء والولاة إلى جهات أخرى رسمية أو غير رسمية كعامة الناس، تتناول موضوعات تخص شؤون الحكم والرعية[1].

والمكان الذي تتم فيه صياغة الكتابة السلطانية يعرف بديوان الرسائل[2]، هذا الأخير الذي يصدر عن ديوان الخليفة وهذه الرسائل عبارة عن رسائل مبايعة وتولية في المناصب، ورسائل إدارية، كان يشرف عليها الكاتب الخاص الذي كان يختص بالحاكم، ويُطلب منه أن يكون خطه حسنا مقبولا بليغا، عالما بما يجري في مجالس الملوك[3].

والرسائل السلطانية أنواع فهي تشمل: الرسائل الصادرة بحكم التعيين أو التولية في المناصب وكذا تولية العهد، القضاة، الولاة، وكل ما يخص الرعية وتشمل كذلك الرسائل التي تكتب عن الخليفة أو السلطان إلى من هو مثله من أجل التهنئة أو التعزية أو العتاب وغيرها مما يشابه ذلك ومن أنواعها كذلك رسائل الجهاد التي يوجهها الخلفاء إلى القادة المكلفين بقيادة الحرب ويذكرونهم بفضل الجهاد في سبيل الله لإظهار الحق وتضم هذه الرسائل معاني دينية

---

[1]- بغداد غربي، **الكتابات الرسمية عند الموحدين أنواعها/مراسيمها/أهميتها التاريخية**، المجلة الخلدونية، العدد 8، جامعة الشلف، 2015م، ص69.

[2]- نصيرة طيطح، **الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس (316-422هـ/929-1031م)**، مذكرة ماجيستير في التاريخ الوسيط الإسلامي، معهد التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2008-2009م، ص26.

[3]- محمـــد بوشريط، **ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي (300-460هـ/912-1067م)**، دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران، 2011-2012م، ص253.

من الآيات التي تتحدث عن فريضة الجهاد التي شرعها الله تعالى لحماية الدين الإسلامي وإعلاءا من شأنه كما أنها تحدثت عما ينتظر المجاهدين من أجر ونعيم في الدارين[1].

وهذه الأنواع مشابهة للأقسام الأربعة التي ذكرها الماوردي فيما يتعلق بالرسائل السلطانية والمعروفة بديوان السلطنة: "الأول الذي يختص بالجيش من إثبات وعطاء، والثاني يختص بالأعمال من رسوم وحقوق والثالث يختص بالعمال من تولية وعزل، والرابع ما يختص ببيت المال من دخل وخراج" وهذه الأقسام الأربعة كانت وفق ما تقتضيه أحكام الشرع[2].

2-أهميتها:

تعد الرسائل الرسمية من أهم المصادر المساعدة على البحث في مجال التاريخ والحضارة حيث أن المصادر التي يعتمد عليها الباحث في التاريخ تعرض العديد منها للتلف والضياع كما قد أغفل عن الكثير من الجوانب الحضارية الاجتماعية منها والاقتصادية ولم تبقى سوى إشارات قليلة عن النظم الإدارية والمنشآت العمرانية، بسبب ذلك أصبحت الرسائل والكتابات الرسمية تتبوأ مكانة هامة في مجال التاريخ والتي غطت على تلك النواقص التي

[1]- خيرة بن غوتي، فتيحة عبد اللاوي، **فن الترسل في العهد الرستمي**، مذكرة ماستر في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2013-2014م، ص30.

[2]- أبي الحسن علي الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تح: أحمد مبارك البغدادي، ط1، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م، ص266.

تحتاج اليها الحوليات، وذلك من خلال تنوع موضوعاتها الإدارية والاجتماعية والاقتصادية فتكون بذلك مصدرا مهما مضافا الى الكتب القيمة من الفتاوى والوثائق والرحلات ... الخ[1].

وحول الأهمية التي اكتسبتها الرسائل السلطانية يقول القلقشندي: "والتّرسّل مبني على مصالح الأمة وقوام الرعية، لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك وسراة الناس في مهمات الدين وصلاح الحال وبيعات الخلفاء وعهودهم، وما يصدر عنهم من عهود الملوك وما يلتحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والأقلام الذين هم أركان الدولة وقواعدها إلى غير ذلك من المصالح التي لا تكاد تدخل تحت الإحصاء ولا يأخذها الحصر"[2].

وهذا من خلال المضامين والمواضيع التي تحويها الرسائل السلطانية وتعتبر معلومات جد مهمة عن المبايعات والمعاهدات والمواثيق والقرارات المتخذة من عزل وتولية في الجانب الاداري أو العسكري، كما لا ننس الشكل الخارجي للرسالة والذي يدل على رسميتها وقوة نظامها، فبذلك تمكنت الرسائل السلطانية من احتلال مكانة مرموقة في عهد الدولة الموحدية وحظيت بالعناية والاهتمام من قبل الموحدين بصفة عامة والخلفاء بصفة خاصة، فقد كانت الوسيلة الأولى والأساسية إن لم نقل الوحيدة في الإعلام والتواصل، هذا الأخير الذي أعطته الدولة أولوية بالغة وعناية بإدارته ووسائله هذه العناية التي فرضتها أوضاع الإمبراطورية الموحدية، ذات المساحة الشاسعة والولايات المتعددة، فزاد خراجها وكثرت علاقاتها الخارجية، فأصبحت

[1]- بغداد غربي، **الكتابات الرسمية عند الموحدين أنواعها/مراسيمها/أهميتها التاريخية**، ص70.

[2]- القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص60.

الرسائل والمكاتبات الرسمية وسيلة دعائية ضرورية للدولة وخير مثال على ذلك الكم الهائل من الرسائل التي جمعت في أكثر من مجموع ومن تلك المجاميع مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية[1].

نظرا للأهمية التاريخية للرسائل الموحدية نجد أحد أهم وأبرز كتاب ومؤرخي الدولة الموحدية ألا وهو ابن القطان[2] والذي اعتمد على هذه الرسائل في كتابة تاريخه ونقل جزء منها في كتابه "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان"، إذ كان في عهد الخليفة المرتضى[3] كاتبا في ديوان الإنشاء[4].

---

[1]- بغداد غربي، **الكتابات الرسمية عند الموحدين أنواعها/مراسيمها/أهميتها التاريخية**، ص71.

[2]- ابن القطان: هو أبو الحسن عليّ بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن محمد بن يحيى بن إبراهيم بن خلصة بن سماحة الحميريُّ الكتاميُّ، يعرف بابن القطان، من أهل فاس، استوطن مراكش ، ولد بفاس فجر يوم عيد الأضحى سنة 562هـ/1167م كان ذاكرا للحديث مُستبحرا في علومه، بصيرا بطرقه عارفا برجاله، عاكفا على خدمته، له عدة كتب منها: "بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام"، وكتاب "المحلّى"، كتاب "النظر في أحكام النظر" ... الخ، وله مقالات منوعة المقاصد منها مقالة في الإمامة الكبرى، مقالة في الوصية للوارث وغيرها، كان معظّما عند الخاصّة والعامّة من آل دولة بني عبد المؤمن حظي كثيرا عند المنصور منهم فابنه الناصر فالمستنصر ابن الناصر فأبي محمد عبد الواحد أخي المنصور ثم أبي زكريا المعتصم ابن الناصر، حتى كان رئيس الطّلَبة مصروفة إليه الخطط النبيهة، مرجوعا إليه في الفتاوى، كانت وفاته من الليلة التي أهلّ فيها هلال شهر ربيع الأول سنة 628هـ/1131م، ينظر: أبي عبد الله محمد بن عبد الملك، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: إحسان عباس محمد بن شريفة، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، مج5، ص17-52.

[3]- المرتضى: هو أمير المؤمنين عمر ابن السيد اسحاق ابن أمير المؤمنين يوسف ابن عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي كنيته أبو حفص، لقبه المرتضى، تولى الحكم سنة 646هـ/1248م، كان يدعي الزهد والتصوف والورع، وتسما بثالث العمرين، كانت أيامه أيام أمن ودعة ورخاء مفرط لم ير أهل مراكش مثلها، توفي سنة 665هـ/1266م، ينظر: ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص258-259.

[4]- أبي محمد حسن بن القطان، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، مصر 1990م، ص47.

من جهة أخرى تكمن أهمية الرسائل السلطانية في مدى خطورتها، فهي لسان حال الدولة وعليها يعتمد ترتيب وتسيير أمورها وتحديد علاقاتها مع الدول الأخرى، ولربما تكون عبئا عليها ودمارا لها في حالة ما إذا أسيء إنشاؤها، وقد تكون مصدر خير وبشرى لها إذا ما أحسن إنشاؤها، فعليها تعتمد هيبة الدولة وتستند عليها أركانها[1].

يقول ابن الاثير عن كتابة الرسائل أو الإنشاء: "هي قوام الملك وضبط قواعده وهي اليد التي بها الأخذ والعطاء، والمنع والإمضاء، والقبض والبسط، والوصل والفض والسر والجهر والنهي والأمر"[2].

للترسل أهمية علمية تاريخية، يعد أحد ركائز الدولة الموحدية التي يصعب التخلي عنها بل استحالة ذلك لما تقدمه من خدمات متعددة تعود بالنفع على المجتمع والدولة ككل، كما لا ننس الكتّاب الذين كان لهم نصيب من هذه المكانة العالية التي احتلتها الرسائل السلطانية في عهد الخلفاء الموحدين.

[1]- عبد الحليم الهروط، المرجع السابق، ص26.

[2]- أبي الحسن علي بن الأثير، **المفتاح المنشا لحديقة الإنشا**، تح: عبد الواحد حسن الشيخ، ط1، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية 1999م، ص51.

3-مميزاتها وخصائصها:

تنوعت مواضيع الرسائل السلطانية كما تنوعت أغراضها، شملت خصائص ومميزات متعددة تبنى عليها الرسالة الرسمية للسلطان، من ناحية الشكل العام للرسالة وكذا من ناحية مضمونها بأسلوب فني بلاغي.

1-الشكل العام للرسالة:

اعتمد كتّاب الدولة الموحدية على شكل واحد للهيكل العام للرسائل السلطانية ويتمثل فيما يلي:

أ-الافتتاح:

يتم فيه ذكر كل من المرسل والمرسل إليه، وحسب القلقشندي يتم ذلك بأسلوبين:

الأول: أن تفتح الكتابة بلفظ "من فلان إلى فلان"، مثلا يقال: "من أمير المؤمنين فلان" ويدعى له بما يليق بمقامه، "إلى فلان" كذلك يدعى له بما يناسب مكانته.

أمّا الأسلوب الثاني: أن تفتح الكتابة بالبعدية مباشرة، بلفظ "أما بعد"[1].

ب-المقدمة:

تشتمل على:

[1]- القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص443-446.

-البعدية.

-التحميد، ويوجد في جميع المراحل التاريخية التي مرت بها الدولة الموحدية.

-البسملة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وأحيانا الترضية عن الخلفاء الراشدين

-الرضا على الإمام المعصوم والمهدي المعلوم.

-تعظيم الخليفة الحاكم[1].

ج-العرض:

قبل الدخول إلى العرض يجب التخلص من المقدمات ويكون ذلك على وجهين:

الوجه الأول: هو ابتداء الخطاب أي يبدأ الكاتب بذكر ألفاظ وعبارات تدل على ابتداءه بالخطاب كقوله: "كتبت، كتابنا، خطابي..."، أمّا الوجه الثاني: فهو ردّ الجواب أي أن يرد على كتاب المرسل إليه كقوله: "ووافاني، وورد..."[2].

يدخل الكاتب بعدها لصلب الموضوع الذي يريد تناوله، ويذكر الحادثة أو الموضوع بالتفصيل، ثم يضيف التعليق عليها من باب الاعتبار والنصح، ولهذا في أغلب الأحيان تكون الرسائل الموحدية طويلة، كما لا تخلوا الرسالة من الأسلوب الفني البلاغي كالسجع مثلا، وكذا

[1]- حسن جلاب، **الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب**، ط3، مراكش، 1995م، ص181.
[2]- فايز القيسي، المرجع السابق، ص317-318.

توظيف الاقتباسات من القرآن الكريم، والتي تعتبر من ضروريات الرسائل خصوصا إذا كان الموضوع ذو طابع ديني كالأمر بالمعروف... الخ[1].

د–خاتمة:

بعد الانتهاء من العرض تختم الرسالة "بالسلام" ويذكر التاريخ أحيانا أو يغفل عنه[2]، وبعد الانتهاء من كل الرسالة، يضع عليها الخليفة علامته بيده في بدايتها، وتقريبا هي صفة مشتركة في كل الرسائل الموحدية ثم بعد ذلك يتم طي الرسالة وختمها[3].

2–مضمون الرسالة:

على الرغم من اختلاف مضامين الرسائل السلطانية إلا أنها كانت تصب في وعاء واحد ألا وهو خدمة الدولة الموحدية:

أ–البيعة:

هي إحدى أهم مواضيع الرسائل السلطانية الموحدية، تكون هذه الرسائل إمّا صادرة من الخليفة إلى الرعية، حيث يرشح فيها أحد أبنائه وليا للعهد، وعادة ما تكون بمباركة الأشياخ

[1]– حسن جلاب، المرجع السابق، ص183.

[2]– حسن جلاب، المرجع نفسه، ص183.

[3]– بغداد غربي، **الكتابات الرسمية عند الموحدين أنواعها/مراسيمها/أهميتها التاريخية**، ص72-77.

وأعيان الدولة، فتسير الرعية في نفس الخطى، وإمّا تكون تلك الرسائل صادرة من طرف ولايات الدولة موجهة إلى الخليفة، في وفود معينة لإعلان البيعة لولي العهد[1].

ب-الإخبار بالفتوحات:

احتلت المركز الأول من بين موضوعات الرسائل، واستمر الاهتمام بها منذ عهد عبد المؤمن إلى آخر خليفة، وهذا إن دل إنما يدل على الحروب المستمرة التي كان الموحدون يخوضونها[2].

ج-الاستعداد للحروب:

نظرا لكثرة الحروب التي خاضها الموحدون أدى لاحتياجهم إلى الدعم بالمزيد من الجند والمتطوعين، كانوا يحثون المسلمين على الجهاد، من خلال الرسائل توجهوا إلى الأقاليم أو بخطب يلقيها العلماء في المساجد وأماكن التجمعات[3].

[1]- أبي الحسن علي بن الأثير، **الكامل في التاريخ**، راجعه: محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م، مج9، ص408.

[2]- حسن جلاب، المرجع السابق، ص173.

[3]- حسن جلاب، المرجع نفسه، ص175.

د-الدعوة إلى التوحيد:

بعث الموحدون برسائل للمرابطين يدعونهم فيها إلى التوحيد وكانت هاته الرسائل فقط في بداية الدولة، إذ تمكن الخلفاء من نشر العقيدة فيما بعد[1].

هـ-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهو ركن من أركان العقيدة، كان الخلفاء الموحدون يأمرون بالمعروف باللين باللسان وبالعنف بالسيف، وتقديم النصح لما فيه خير الدارين[2].

3-الظهائر:

وهي نوع من أنواع الكتابات الرسمية التي تنتمي إلى النثر الديواني، تتباين أغراضها وتختلف عن الرسائل، والظهير هو العون، وظاهر أي ناصر وأعان، والتظاهر هو التعاون[3].

4-التوقيعات:

هي من الكتابات الرسمية في النثر الديواني الموحدي، كان الخليفة يكتبها على الكتب والرسائل والظهائر وغيرها، من الكتابات الرسمية وحتى غير الرسمية يعبر بها كاتبها على مقصوده

[1]- حسن جلاب، المرجع السابق، ص175.

[2]- حسن جلاب، المرجع نفسه، ص175.

[3]- أبي الفضل جمال الدين بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، مج4، ص525.

بعبارة قصيرة وواضحة في نفس الوقت[1].

أ-التوقيع في اللغة:

ويراد به مخالفة الثاني للأول، والتوقيع في الكتاب هو الحاق شيء فيه بعد الفراغ منه[2].

يعرفه القلقشندي بقوله: "إنّ التوقيع معناه في اللغة التأثير الخفيف"[3].

ب-التوقيع اصطلاحا:

يعرفه ابن خلدون: "التوقيع هو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها مُتلقّاة من السّلطان بأوجز لفظ وأبْلغِه"[4].

يعرفه الكلاعي على أنه نوع من الكلام تم التعديل فيه لتجنب الإطالة والتكرار إلى الإيجاز والاختصار، فمنه ما يكون بكلمات، أو بالكلمة الواحدة، أو بالحرف الواحد، أو ما يأتي بالآية من القرآن الكريم، أو ما يأتي ببيت من الشعر[5].

---

[1]- بغداد غربي، **الكتابات الرسمية عند الموحدين أنواعها/مراسيمها/أهميتها التاريخية**، ص84.

[2]- ابن منظور، المصدر السابق، ج8، ص406.

[3]- القلقشندي، المصدر السابق، ج11، ص114.

[4]- ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ج1، ص306.

[5]- الكلاعي، المصدر السابق، ص160-163.

ثالثا: مشاهير كتّاب الدولة الموحدية

عمّرت الدولة الموحدية قرنا ونصف من الزمان حكمت المغرب والأندلس منذ سنة 524هـ/1130م إلى غاية سنة 668هـ/1269م، وأثناء هذه المدة الزمنية الطويلة كان لزاما على الخلفاء إيجاد كتاب بلغاء يتميزون بأسلوب كتابة متقن واختيار مناسب للألفاظ والعبارات وذلك لكتابة الرسائل السلطانية، وبالفعل كان هناك كم هائل من هؤلاء الكتاب الذين ذاع صيتهم في المغرب والأندلس، ونتيجة لعددهم الكبير وبعد الاطلاع على العديد من الرسائل تم اختيار أهم الكتّاب المشاهير:

1-أبو جعفر بن عطية:

هو الكاتب الوزير أبو جعفر أحمد بن جعفر بن عطية القضاعي، ولد سنة 517هـ/1124م، أصله من قمرلة[1]، قرية بطرطوشة[2]، من شرق الأندلس[3]، وهو من أهل مراكش

[1]- قُمرلة: قرية صغيرة على البحرجنوبي طركونة، تسمى اليوم cambrila وهي جنوب رأس سالو cabosalou مباشرة، وهي تابعة لمركز ريوس reus في مديرية طركونة، ينظر: أبي عبد الله محمد بن الآبار، **الحلّة السّيراء**، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج2، ص238.

[2]- طرطوشة: هي مدينة بالأندلس، وهي شرقي بلنسية وقرطبة قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر أبرُه، ولها ولاية واسعة وبلاد كثيرة تحلُّها التجار وتسافر منها إلى سائر الأمصار، واستولى الإفرنج عليها في سنة 543هـ/1149م وكذلك على جميع حصونها وهي في أيديهم إلى الآن، ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج4، ص30.

[3]- ابن الآبار، **الحلّة السّيراء**، ج2، ص238.

كان أبوه أبو محمد كاتبا لعلي بن يوسف[1] وابنه تاشفين[2]، أخذ العلم عن أبيه.

بعد سقوط دولة المرابطين هرب أبو جعفر وغيّر مظهره وتشبّه بالجند وأخفى نفسه شارك في معركة الشيخ أبي حفص الهنتاني[3] ضد الثائر الماسي[4]، حيث كان أبو جعفر من ضمن الرماة والتقى الطرفان ودارت المعركة وانتهت بهزيمة جيش الماسي، وذلك يوم الخميس 16 ذي الحجة 542هـ/1148م[5]، فأراد أبو حفص إعلام الخليفة عبد المؤمن بخبر النصر فلم يجد فيمن كانوا معه من هو أهل للكتابة، فقيل له أن هناك فتى من الرماة يتقن ذلك، فاستدعاه وعرض عليه الأمر لكنه رفض في بادئ الأمر وتظاهر بالعجز ولمّا شدد عليه كتب الرسالة ولما

---

[1]- علي بن يوسف: هو علي بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تارقوت اللمتوني، تسمى أمه بأم الحسن، مولده بسبتة سنة 477هـ/1085م، بويع له يوم مات أبوه بمراكش بعهد أبيه وتسمى بأمير المسلمين، ملك من البلاد ما لم يملكه والده وسلك في أموره طريق والده، توفي سنة 537هـ/1143م، ينظر: أحمد المكناسي بن القاضي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، 1973م، ص459-460.

[2]- تاشفين: هو تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني، يكنى أبا المعز وقيل أبا عمرو، تسمى أمه ضوء الصباح بويع في 8 رجب سنة 537هـ/1143م في معظم أيام الفتنة، وقد قام الموحدون وظهر أمرهم واشتد سلطانهم وملكوا كثيرا من بلاد العدوة، فكانت بينهم وبين عبد المؤمن بن علي حروب عظيمة ووقائع كثيرة، توفي في 27 رمضان سنة 539هـ/1145م، ينظر: ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص165-166.

[3]- أبو حفص الهنتاني: هو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني من أبرز خاصّة محمد بن تومرت، وقد خصه بقيادة كتيبة الدرقة (Adaraga) وإليه يرجع الفضل في تثبيت مركز الدولة الموحدية واستقرار سلطانها وهو بطل موقعة السبطاط سنة 568هـ/1173م وجدُّ الملوك الحفصيين أصحاب تونس وإفريقية، توفي سنة 571هـ/1176م، ينظر: ابن صاحب الصلاة المصدر السابق، ص85.

[4]- الماسي: هو محمد بن هود الماسي، أصله من أهل سلا، وقد خرج بالسوس داعيا ضد الموحدين، وجمع لمحاربتهم جيشا كبيرا، وهزمهم في البداية ولكن هزم في النهاية وقتل وذلك في أواخر سنة 541هـ/1147م، ينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص263.

[5]- أبي عبد الله محمد بن الآبار، **إعتاب الكتّاب**، تح: صالح الأشتر، ط1، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961م، ص226.

أتمها قرأها أبو حفص فذهل بها ورأى أن الخليفة سيعجب بها، وبالفعل لما وصلت الرسالة لعبد المؤمن أثارة إعجابه فأمر الاعتناء بكاتبها وإكرامه والإحسان إليه، وبعد ذلك استدعاه ولمّا حضر خصه الخليفة بخطة الكتابة كما سلّمه منصب الوزارة، وأوكل إليه مهمة النظر في كل الأمور، فاشتهر بأخلاقه الحميدة وعمله الناجح المكمل للدولة[1].

قال في حقه ابن الآبار: "بهر بهاؤه، واشتهر ابتداؤه وانتهاؤه، حتى ساق الأيام بل الأنام بعصاه واستوسق له أدنى الشرف وأقصاه، وهو أحد من سوّدته براعته ولم توجد بُدا من اصطناعه صناعته"[2]، وقال ابن عذارى: "ذكر الرواة الثقات أنه لم يبلغ مبلغ ابن عطيّة أحد من الكتاب ولا الوزراء المتقدمين في جده ومجده وكتابته وفصاحته ونصحه وخدمته وسلوكه طرق المكارم واجتنابه المحارم والتذاذه بقضاء المسائل ..."[3]، أما ابن الخطيب فقد مدحه قائلا: "كان كاتبا بليغا، سهل المأخذ، منقاد القريحة، سيّال الطبع"[4].

أثناء توجه أبو جعفر نحو الأندلس قام حساده بالكيد له للتخلص منه، مما جعل الخليفة عبد المؤمن يمنح عبد السلام الكومي[5] منصب الوزارة، والذي قام بتشويه صورة أبي جعفر بن

---

[1]- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ص264.

[2]- ابن الآبار، **إعتاب الكتّاب**، ص226.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص58.

[4]- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ص263.

[5]- عبد السلام الكومي: من أقرب الناس إلى الخليفة بعد مقتل الوزير ابن عيطة وقد كانت له مصاهرة مع الأسرة الملكية حيث أن والد عبد المؤمن تزوج من أم عبد السلام وكانت له معها بنت إسمها بندة وعلى هذه القرابة كان يعتمد في

عطية، وحين وصل الخبر ابن عطية وهو بالأندلس عاد إلى مراكش وأثناء وصوله قيّد في المسجد وتم إحضار الناس على اختلاف طبقاتهم وطلب منهم أن يقرروا ماذا يفعلون به، فأجاب كل واحد منهم حسب رأيه وهواه، وأمر الخليفة بسجنه هو وأخوه أبو عقيل بن عطية، ثم بعد ذلك قتله مع أخوه سنة 553هـ/1159م[1].

اختلفت الروايات حول سبب مقتله، فمثلا ابن الخطيب والمقري قالا "أن الخليفة أطلعه على سر فأفشاه"[2].

عاش أبو جعفر أطول فترة من حياته خادما للمرابطين ومدينا لهم إلاّ أنه بعد أن تغيرت الأوضاع وسقطت الدولة المرابطية، وقامت الدولة الموحدية قدّر له أن يتولى منصب الوزارة والكتابة لدى الخليفة عبد المؤمن، ولو دام حكم المرابطين لبقي أبو جعفر تابعا لهم وفي خدمتهم وهذا يدل على مدى إخلاصه، كما أنه لم يكن ساخطا على ما منحه إيّاه أمير المؤمنين عبد المؤمن فبذل ما بوسعه لخدمة الدولة الموحدية[3]، وقد ندم أمير المؤمنين عبد المؤمن بعد ذلك على قتله وبكى عليه[4].

تصرفاته الأمر الذي استوجب الإيقاع به بعد فتح المهدية والوصول إلى تلمسان، ينظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص83.

[1]- المقري، المصدر السابق، ج5، ص183-184.

[2]- المقري، المصدر نفسه، ج5، ص184.

[3]- محمد خياري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، ص183.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص58.

2-أبو الحسن بن عيّاش:

هو عيّاش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزديّ، أصله من يابرة[1] كان يقيم بقرطبة[2] يكنى أبو الحسن، روى عن أبيه، وروى عنه ابناه فيما بعد[3].

قال عنه الذهبي: "كان عارفا بالقراءات والعربية، مع الصلاح والزّهد، أقْرأ الناس"[4]، كما أثنى عليه ابن الجزري بقوله: "كان متقنا للقراءات والنحو متين الديانة"[5].

---

[1]- يَابُرة: هي مدينة من كورباجة الأندلس، وهي قديمة وتنتهي أحواز باجة فيما حواليها مائة ميل، وهي جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعناب وبها مدينة حسنة صغيرة خضرة، وأقرب بر إليها مدينة دانية بينهما مجرى، وفي شرق اليابسة جزيرة ميورقة بينهما مجرى، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص615-616.

[2]- قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريرا لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أميّة، ثم خربت وصارت كإحدى المدن المتوسطة فرثاها وأكثر في رثائها الشعراء، ينظر: أبي نصر الفتح بن محمد بن خاقان، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، تح: حسين يوسف ظريوش، ط1، مكتبة المنار، الأردن، 1989م، ص67، هي أعظم مدينة بالأندلس وليس بجميع المغرب لها شبيه، ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محالّ وعمارة مساجد وكثرة حمّامات وفنادق، ينظر: أبي القاسم النصيبي بن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992م، ص107، وبها كانت ملوك بني أمية إلى حدود سنة 440هـ/1049م فإنه انقضت مدة الأمويين وظهر المتغلبون بالأندلس وقويت شوكة بني عبّاد وغيرهم واستولى كل أمير على ناحية وخلت قرطبة من سلطان يرجع إلى أمره، وخربت وصارت كإحدى المدن المتوسطة ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص324.

[3]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج3، ص20.

[4]- شمس الدين أبي عبد الله الذهبي، **المستملح من كتاب التكملة**، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ص354.

[5]- شمس الدين أبي الخير بن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القرّاء**، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2006م، ج1، ص535.

كان ابن عياش من أهل الحديث والرواية، وأحد الكتّاب الموهوبين، صاحب فكر ورأي رشيد[1]، اعتنى بالقرآن الكريم، عمل على تجويده، حسن الصوت متحكم في ضبطه، كتبه بقرطبة لعدة سنين وكان يقرأه بجامعها، تخرج على يده مجموعة من النجباء، درّس النحو واللغة بأحد مساجدها، كان يجلس فيه في كل جمعة ينصح الناس ويرشدهم، صاحب دين قوي، غلبت عليه صفات الزهد والصلاح والفضل[2].

حين شاع أمره ووصل خبره إلى قاضي قرطبة أبو جعفر بن حمدين[3]، استدعاه وذلك في أواخر عهد المرابطين، وظل أبو الحسن عنده، إلى أن قام أبو جعفر القاضي بخلق فتنة مدمرة للمرابطين

[1]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص206.

[2]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج3، ص404.

[3]- أبو جعفر بن حمدين: هو حمدين بن محمد بن علي بن حمدين قاضي قرطبة، ثار على المرابطين بقرطبة لما ضعف أمرهم وبويع بها يوم 5 رمضان عام 539هـ/1145م، ولما كر عليه ابن غانية استنصر بألفونسو ريموندس ملك قشتالة ومكنه من قرطبة، ثم وفد على عبد المؤمن وهو محاصر لمراكش سنة 541هـ/1147م فأكرمه وأحسن نزله، ولكنه لما عاد إلى الأندلس حاول استرداد سلطانه بقرطبة فأخفق مسعاه فارتد إلى مالقة واستقر بها حتى وافاه أجله في رجب عام 546هـ/1152م ينظر: البيدق، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، ص86.

هرب أبو الحسن من قرطبة إلى إشبيلية[1]، وتفرغ للعبادة في جوانب من قرى إشبيلية كان يعيش بإعالة من صديق له لعلمه برزقه الحلال والذي ورثه عن أجداده وظل على هذه الحالة فترة معينة[2].

في ذلك الوقت كان أبا إسحاق براز بن محمد المسوفي[3] العامل بإشبيلية عند الخليفة عبد المؤمن بن علي، بحاجة إلى كاتب ينوب عنه، فدلّوه على أبو الحسن فأرسل إليه رسول فلما وصل إليه وأعلمه بالأمر وافق على كره وتقية في نفسه، ومنها كانت بداية الانطلاق لصحبة الملوك في الكتابة عنهم، وتراجع عن حياته الأولى والمثلى[4].

---

[1]- إشبيلية: هي مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس أعظم منها تسمى حمص أيضا، وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره، وبها كان بنو عبّاد، ومما فاقت به على غيرها من نواحي الأندلس زراعة القطن فإنه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب، وهي على شاطئ نهر عظيم قريب في العظم من دجلة أو النيل، وبها مدن وأقاليم ينسب إليها خلق كثير من أهل العلم، ينظر: الحموي: المصدر السابق، مج1، ص195، هي مدينة قديمة أزليّة، يذكر أهل العلم باللسان اللاتيني أن أصل تسميتها إشْبَالي معناه "المدينة المنبسطة" ويقال أن الذي بناها يوليش القيصر، وأنه من تسمى القيصر، وهي كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وأسواقها عامرة، وخلقها كثير، وأهلها مياسير، قدّم أهلها أحمد بن مسلمة كان من أهل البأس فأظهر الفساد، فأخرج إليه عبد الرحمان بن محمد قائدا من قواده، حتى افتتحا على يدي الحاجب يوم الإثنين جمادى الأولى 301هـ/914م، وهي من أمصار الأندلس الجليلة كثيرة المنافع، عظيمة الفوائد، وفي سنة 646هـ/1248م تغلب العدو على مدينة إشبيلية بعد أن حوصرت أشهرا حتى ساءت أحوال أهلها، فأصفق رأيهم على إسلامها للعدو والخروج عنها، فكان ذلك، ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تع: لافي بروفنصال، ط2، دار الجيل، لبنان 1988م، ص ص18-22.

[2]- العباس بن إبراهيم السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه: عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية الرباط، 1993م، ج8، ص357.

[3]- أبو إسحاق براز بن محمد المسوفي: كان من رجال المرابطين الذين التحقوا بالموحدين في عهد عبد المؤمن، ينظر: ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج3، ص21.

[4]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، مج3، ص21.

بعد أبي إسحاق انتقل للكتابة عند الأمير أبي حفص بن عبد المؤمن[1]، وسار معه إلى تلمسان وظل في خدمته والكتابة له إلى أن تم الإيقاع بأبي جعفر ابن عطية، فدعاه الخليفة عبد المؤمن إلى حضرته وأمره بالكتابة له[2]، وبقي أبو الحسن بن عياش كاتبا ديوانيا للخليفة الموالي وهو يوسف بن عبد المؤمن، وأصبح بن عياش ينعم بالحياة الرغدة، صاحب منزلة رفيعة، ومن المقربين والممدوحين عند الخلفاء[3].

لقد وفق أبو الحسن بن عياش في الجمع بين الشعر والنثر، حيث أثنى عليه ابن الآبار قائلا: "كان عبد الملك مع تقدمه في الآداب وتصرفه في النثر، مشاركا في النظم، من أبرع الناس خطا وأحسنهم وراقة وكان له من الولاة منزلة جليلة"[4].

ندم أبو الحسن عياش على تغيير حياته التي كانت قائمة على العبادة والتقوى والزهد إلى حياة الرفاهية رفقة ذوي النفوذ وأصحاب السلطة، وهذا ما بينه السمللالي، حيث ذكر زيارة

---

[1]- أبي حفص بن عبد المؤمن: هو أبو حفص عمر بن عبد المؤمن شقيق يوسف، أمهما إسمها زينب إبنة موسى الضرير كان هذا من شيوخ أهل تينمل وأعيانهم من ضيعة يقال لها أنسا وكان عبد المؤمن يستخلفه على مراكش إذا خرج منها، وكانت مصاهرته إياه أيام كان عبد المؤمن بتينمل برأيه ابن تومرت ولما تم خلع محمد، بعد اتفاق من وجوه الدولة على ذلك دار الأمر بين اثنين من ولد عبد المؤمن يوسف وعمر وهما من نبهاء أولاده، فأباها عمر منهما وتأخر عنها مختارا وبايع لأخيه أبي يعقوب وسلّم له الأمر، حمله على ذلك فرط عقله وإيثار دينه وحبا لمصلحة المسلمين لأنه كان يعلم من نفسه أشياء لا يصلح معها لتدبير المملكة وضبط أمور الرعية، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص308.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص166-167.

[3]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج3، ص21.

[4]- أبي عبد الله محمد بن الآبار، **التكملة لكتاب الصلة**، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995م، ج3، ص83.

صاحبه له عندما كان يعاني من المرض الذي تسبب في وفاته بعد ثلاثة أيام، وأخبر أنه أنشد لنفسه نادما على أفعاله وسوء انقلابه إذ قال :

عَصَيْتُ هَوَى نَفْسِي صَغِيرًا فَعِنْدَمَا رَمَتْنِي اللّيَالِي بِالْمَشِيبِ وَبِالْكِبَرِ

أَطَعْتُ الْهَوَى عَكْسَ الْقَضِيَةِ لَيْتَنِي خُلِقْتُ كَبِيرًا وَانْتَقَلْتُ إِلَى الصِّغَرِ[1]

لم يعلم عن السنة التي ولد فيها الحسن بن عياش، لكن اجتمعت المصادر على أن وفاته كانت في عام 568هـ/1173م[2].

3-أبو الفضل بن محشرة:

هو أبو الفضل ابن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي، "الشيخ الفقيه الجليل، العالم الصدر النبيل النبيه الذكي، السنّي القدر، الكاتب البارع"، أصله من بجاية، اشتهر بابن محشرة يكنى أبا الفضل وأبا العلى ولد سنة 540هـ/1146م، كان أبوه قاضيا ببجاية[3].

قال عنه ابن أبي زرع: "كان من أهل العلم والفضل والدين والتقى والنبل في الكتابة والبلاغة في الترسل"[4]

---

[1]- السملالي، المصدر السابق، ج8، ص357.

[2]- ابن الآبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج3، ص83، السملالي: المصدر نفسه، ج8، ص359، ابن عبد الملك المراكشي المصدر السابق، مج3، ص24.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص53.

[4]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص206-207.

كان تلميذا لأبي القاسم القالمي[1]، جمع بين العلم والأدب والكتابة فكان "عالما متمكنا وأديبا بارعا وكاتبا جيدا".

استدعاه الخليفة أبو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن للحضور إلى مراكش، فارتحل من بجاية وهو كاره لذلك مع علمه أن سبب استدعائه هو تتويجه بمنصب يسمو ويرقى به على أمثاله ولكن حب العلم أغناه عن الناس، وذلك ما زاد في رفعته عند الناس أزيد مما يقاس، وكان سبب الاستدعاء هو أن كاتب سر الخليفة توفى، فاختار يوسف أمير المؤمنين ابن محشرة ليتولى كتابة السر، وأظهر في هذا المنصب قدرته وروعة أسلوبه وبلاغته[2].

لمّا حضر ابن محشرة عند الخليفة يوسف رأى فيه سما خلقية حميدة، فلم يلجأ إلى امتحانه فأكرمه ورفع منزلته، غير أن الحساد كادوا أن ينجحوا في إفساد هذه العلاقة الطيبة بين ابن محشرة والخليفة، من خلال اتهامهم لابن محشرة بالتكاسل عن المجيء فور استدعاء الخليفة له والتأخر عن تلبية دعوته، وعندما واجهه الخليفة معاتبا أجاب مشبها قدومه للخليفة بقدومه للصلاة قائلا له: "يا أمير المؤمنين أنت إمام المسلمين، وما أحسب أن محل الإمامة إلا

[1]- أبو القاسم القالمي: هو أبو القاسم عبد الرحمان القالمي، كاتب أمير المؤمنين عبد المؤمن، من أهل مدينة بجاية، من ضيعة من أعمالها تعرف بقالم، ينظر: عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، مج3، ص269.

[2]- محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس –العصر الثالث– عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس –القسم الثاني– عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ص697.

كمحل الصلاة، فكما آتي إلى الصلاة آتي إلى هذا المحل" فرضي الخليفة يوسف منه قوله ذلك وعظمة منزلته في نفسه[1].

وعندما توفي أبو يعقوب كتب من بعده لولده الخليفة يعقوب المنصور[2] ثم لحفيده الناصر[3] وفي مجموعة الرسائل الموحدية، عدد من الرسائل المكتوبة بقلمه، تشهد ببراعته، وتفننه في أساليب البيان والبلاغة، توفي سنة 598هـ/1202م[4].

4-أبو المطرف بن عميرة:

هو أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي، أصله من جزيرة شقر[5] ولد بمدينة بلنسية[6] في رمضان سنة 580هـ/1185م، روى عن الكثير من الحفّاظ، نبغ في العديد

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص54.

[2]- محمد عنان، المرجع السابق، ج3، ق2، ص697.

[3]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص207.

[4]- محمد عنان، المرجع نفسه، ج3، ق2، ص697.

[5]- شقر: هي جزيرة بالأندلس، قريبة من شاطبة، بينها وبين بلنسية ثمانية عشرة ميلا، وهي حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار الأنهار وبها ناس وجلة، وبها جامع ومساجد وفنادق وأسواق، وقد أحاط بها الوادي، والمدخل إليها في الشتاء على المراكب وفي الصيف على مخاضة، ينظر: الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص349.

[6]- بلنسية: هي مدينة مشهورة بالحسن، وتسمى بستان الأندلس، وهي على بحيرة ينصب فيها نهر على شمالي المدينة، وهي حيث الطول عشرون درجة، والعرض ثمان وثلاثون درجة وست دقائق، ينظر: أبي الحسن علي بن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970م، ص167، تقع في شرق الأندلس وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس في مستو من الأرض عامرة القطر كثيرة التجارات وبها أسواق، لها أربعة أبواب، ولأهلها حسن زيّ وكرم طباع، وهي في أكثر الأمور راخية الأسعار، كثيرة الفواكه والثمار، جامعة لخيرات البر والبحر ولها أقاليم كثيرة وفي سنة 636هـ/1239م ملك الروم بلنسية صلحا واستولى عليها ملك أرغون جاقه، وأكثر أدبائها بكائها والتأسف عليها نظما ونثرا، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص490.

من العلوم أولها الفقه، إذ يعتبره الفقهاء قدوة لهم، أحد العلماء المتفوقين، الحاصل على درجة الامتياز في النثر والنظم، إضافة إلى ذلك عنايته الشديدة بالرواية وإكثاره السماع للأحاديث، وتعلمه من مشايخ أهله[1]، وبالنسبة للكتابة "فهو فارسها الذي لا يجارى وصاحب عينها الذي لا يبارى"[2].

ما جعل ابن عميرة يصل إلى مستوى عال في الكتابة، ليس فقط اعتماده على الطريقة الأدبية، وإنما مزج في كتابته بين العلم والأدب، فكانت كتابته جامعة بين كتابة العلماء والأدباء وهذا ما ميّزه عن غيره وجعله الأسبق عمن سواه[3]، فهو كما قال ابن سعيد "شيخ كتّاب زماننا وإمام أدباء أوانينا"[4].

مدحه ابن الآبار قائلا: "فائدة هذه المائة، والواحد يفي بالفئة، الذي اعترف بأمجاده الجميع واتصف بالإبداع، فماذا يوصف به البديع ومعاذ الله أن أحابيه بالتقديم لما له من حق التعلم... تحلّت به الصحائف والمهارق، وما تخلّت عنه المغارب والمشارق، فحسبي أن أجهد في أوصافه ثم أشهد بعدم إنصافه ..."[5].

---

[1]- محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النّور الزكية في طبقات المالكية**، تع: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م، ج1، ص279.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص314-315.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص300-301.

[4]- أبي الحسن علي بن سعيد، **إختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي**، تح: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة 1959م، ص42.

[5]- أبي عبد الله محمد بن الآبار، **تحفة القادم**، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986م، ص209.

قال فيه بعض علماء المغرب: "قدوة البلغاء، وعمدة العلماء، وصدر الجلّة الفضلاء وهو أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي... مبدع البدائع التي لم يحظ بها قبله إنسان ولا ينطق عن تلاوتها لسان"[1].

لقد نشأ ابن عميرة في زمن كانت فيه الدولة الموحدية في أوج قوتها، مسيطرة على جميع أنحاء الأندلس، وبالذات في عهد الناصر وابنه المنصور، شهدت حياة الترف، من احتفالات ومناسبات[2].

انتقل أبو عميرة إلى مراكش، في عهد أمير المؤمنين الرشيد[3]، الذي استدعاه للكتابة فكتب له مدة قصيرة، ثم عزله الخليفة عن الكتابة ونصّبه في القضاء، وتولى هذا المنصب في أكثر من منطقة فتارة في سلا[4] وتارة أخرى في مكناسة الزيتون[5] وغيرها.

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص313.

[2]- سامية جباري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس من فتح الأندلس إلى سقوط غرناطة (92هـ-897هـ)** ص193.

[3]- الرشيد: هو أمير المؤمنين عبد الواحد إدريس المأمون ابن يعقوب المنصور ابن يوسف الشهيد ابن عبد المؤمن المؤيد ابن علي الكومي الموحدي، كنيته أبو محمد، لقبه الرشيد، أمه تسمى حباب كانت من دهاة النساء وعقلائهن، بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه سنة 630هـ/1232م توفي غريقا في صهريج سنة 640هـ/1242م، ينظر: ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص254.

[4]- سلا: هي مدينة بأقصى المغرب، ليس بعدها معمور إلاّ مدينة صغيرة يقال لها غرنيطوف، وسلا مدينة متوسطة في الصغر والكبر، موضوعة على زاوية من الأرض قد حاذاها البحر والنهر، ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج3، ص231.

[5]- مكناسة الزيتون: هي مدينة في المغرب من نظر فاس إلى جهة المغرب، وهي أربع مدن وقرى كثيرة متصلة بالمدن والحصون، الممدّن منها يسمى تاجرارات، وعلى هذه المدينة سور كبير وأبراج عظيمة، وهي مدينة جليلة فيها الأسواق الحفيلة، وأنشأ فيها بعض ملوك بني عبد المؤمن بحاير عظيمة في نهاية الاتساع، وجلب ماء نهرها وغرست زيتونا وكروما

وفي الأخير اتجه نحو تونس[1]، وانحاز إلى مصاحبة أهل الزهد والفضل لمدة من الزمن، ثم اتجه مرة أخرى لخدمة الملوك كالموحدين وغيرهم.

بيّن من خلال رسائله السلطانية السياسة القائمة في كل بلد حلّ به، وكشف عن خبايا تلك المناطق من خلال علاقاتها الداخلية والخارجية، له عدة كتب منها: "كتاب المعالم"، "كتاب التبيان، في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن" وغيرها[2]، توفي بتونس ليلة الجمعة 20 ذي الحجة عام 658هـ/1260م[3].

إن الدولة الموحدية إحدى الدول الإسلامية، التي حاولت تنظيم إدارتها بوضع نظام الدواوين، الذي انبثقت منه الرسائل السلطانية، والتي اختارت لها كتّابا بلغاء أكفاء، أبدعوا في الكتابة بأساليب فنية بلاغية مميزة، كانت كتبهم توحي بذلك، بمدى تفوقهم وبراعتهم، فلا تجد الواحد منهم مختصا فقط في مجال الكتابة بل تجده متمكنا ومكتسبا للعديد من العلوم.

وزيتها أكثر زيت في المغرب، وهي كريمة الأرض طيبة المدرة، بل هي من غرّ بلاد المغرب، ينظر: الحميري، **روض المعطار في خبر الأقطار**، ص544.

[1]- تونس: هي مدينة عظيمة بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام وبينها وبين البحر نحو أربع أيام، وبينها وبين قرطاجنة نحو عشرة أميال ومرساهما واحد يسمى رادس، وهي مدينة قديمة البناء لها سور عظيم ويدور بها حفير، وبا جامع متقن البناء مليح الصنعة مطل على البحر، بناه عبيد الله بن الحبحاب، وهو من عجائب الدنيا، ومدينة تونس في سفح جبل وبها مبان عجيبة، وهي دار علم وفقه، أكثر البلاد باعة وغوغاء، وهي أشرف مدن إفريقية وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكها، كان اسمها في القديم ترشيش، وسميت تونس في أيام السلام، ينظر: مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ص121.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص ص314-319.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص301.

الفصل الثاني: موضوعات الرسائل السلطانية الموحدية

أولا: الرسائل السياسية

ثانيا: الرسائل العسكرية

ثالثا: الرسائل الدينية

تمثل الرسائل السلطانية شاهد عيان على حركة الدولة الموحدية، إذ نجدها تركت بصمتها في المغرب والأندلس من خلال تناولها للعديد من المواضيع، خاصة تلك المواضيع المتعلقة بالمجال السياسي والعسكري والديني، إذ تعد هذه المجالات الركائز الأساسية التي يسير وفقها نظام الدولة فخلّفت رسائل سلطانية جمّة في هذه الميادين من قبل خلفاء الدولة الموحدية.

أولا: الرسائل السياسية

عملت الرسائل السلطانية السياسية في الحفاظ على نظام الدولة من خلال مساهمتها في اتباع أساليب وطرق سياسية محكمة مضبوطة، ولعل أهمها رسائل البيعة، هاته الأخيرة التي تمكنت من ضبط الأمور وتحديد صاحب السلطة تفاديا للثورات والاضطرابات التي قد تتعرض لها الدولة.

أ-رسائل البيعة:

ظهرت بوادرها الأولى منذ أن ترك محمد بن تومرت وصيته الداعية إلى بيعة عبد المؤمن لمّا مرض ابن تومرت وقبل أيام قليلة من موته استدعى أصحابه من جماعة العشرة وجماعة[1]

[1]- عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص262.

الخمسين فلما حضروا أخبرهم عن وصيته والتي أساسها الدعوة الى مبايعة عبد المؤمن ليكون خليفة من بعده بعد أن أثنى عليه وذكر خصاله التي تؤهله لهذا الأمر[1].

ومن مضمون الرسالة: "... وقد اخترنا لكم رجلا منكم، وجعلناه أميرا عليكم، هذا بعد أن بلوناه في جميع أحواله، من ليله ونهاره ... واختبرنا سريرته وعلانيته، فرأيناه في ذلك كله ثبتا في دينه ... وإني لأرجو ألا يُخلف الظن فيه، وهذا المشار إليه هو عبد المؤمن، فاسمعوا له وأطيعوا ما دام سامعا مطيعا لربه ..."[2].

فبايع القوم عبد المؤمن، ودعا لهم ابن تومرت وهذا هو سبب إمارة عبد المؤمن، ثم توفي بن تومرت بعد فترة قصيرة[3].

اشتد المرض على محمد بن تومرت وأدرك أن الموت قد اقترب، فدعا عبد المؤمن بن علي وأوصاه بما أراد وأوصاه بإخوانه خيرا، ثم أمره أن يخفي أمر موته أياما إذا مات حتى تكون كلمة الموحدين واحدة، كما أمره بما يكفنه فيه من الثياب وأن يتولى غسله ودفنه بيده

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص262.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص262-264، مصطفى بنسباع، **السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين**، تق: محمد بنعبود، ط1، مطابع الشيوخ، تطوان، 1999م، ص61 محمد المنوني، **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**، ط2، دار المغرب، الرباط، 1977م، ص205-207.

[3]- عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص264.

وأن يتقدم للصلاة عليه ويدفنه بجامع تينمل، فبكى عبد المؤمن بكاءا شديدا لفراقه وتوفي يوم الخميس 25 من شهر رمضان سنة 524هـ/1130[1].

بعد وفاة ابن تومرت ظهر نظام حكم جديد عند الموحدين، إذ تحول من نظام اختياري إلى نظام وراثي، وأصبحت ولاية العهد خاصة بأسرة بني عبد المؤمن[2].

دعا عبد المؤمن لنفسه بالبيعة من خلال الرسالة التي أرسلها من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية موجهة إلى القاضي أبي القاسم يعلمه فيها بوصول بعثته إليه وإتمامهم لمراسيم البيعة وذكر أسماء الأشخاص الذين نابوا عنه أبو محمـــد، أبو الحسن أبو عبد الله بن زرقون، كما تقبل عبد المؤمن عذر القاضي بسبب عدم قدرته االلتحاق بالركب، متفهما الظروف التي حالت دون ذلك، ومما جاء في الرسالة: "... وقد وصلنا أخوكم الشيخ الجليل أبو محمـــد وابنكم أبو الحسن وصاحبكم الشيخ الكاتب أبو عبد الله بن زرقون ... فأدوا من حقّ هجرتهم البرّة ما قلّدوه ونالوا من خير الزيارة والبيعة ما اعتمدوه؛ ثم انصرفوا مبرورين مسرورين بما ألقوه من بركة هـــذا الأمر الكريم ووجدوه، وقام عذركم -وفقكم الله-على ساقه فقبل، ومثل ولاؤكم نائبا عن الوصول فوصل ..."[3].

---

[1]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص180.

[2]- بغداد غربي، **الكتابات الرسمية عند الموحدين أنواعها/مراسيمها/أهميتها التاريخية**، ص49.

[3]- مؤلف مجهول، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، إصدار: لافي بروفانصال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، 1941م، ج10، ص3-4.

كما ورد كتاب آخر بعث به الخليفة عبد المؤمن من مراكش من إنشاء أبي جعفر بن عطية في 2 صفر عام 544هـ/1150م إلى الشيخ أبي فلان -دون ذكر اسم الشيخ- وجماعة من المشيخة بقرطبة، إذ يقول: "... وقد وافانا -أدام الله كرامتكم- كتابكم الأثير ... وانتهت إلينا بيعتكم التي ضمّنتموها بما اشتملت عليه من عهودها ومواثيقها... وقد وفد لنا - أكركم الله - أصحابكم الشيوخ أبو محمد وأبو الحسن وأبو عبد الله - وفقهم الله - ... ونالوا من الزيارة المبرورة والبيعة الكريمة منتهى طلبهم واختيارهم ..."[1].

تبيّن هذه الرسالة أن الخليفة عبد المؤمن يخاطب الشيخ أبي فلان ومشيخة قرطبة ويعلمهم بوصول بيعتهم، ثم ذكر الوفد الذي وصله من قبل الشيخ أبي فلان وهم أبو محمد، أبو الحسن، أبو عبد الله وعقد بيعتهم والرضا عن هذا الأمر.

الواضح من الرسالتين أن الوفد الأول هو نفسه الوفد الثاني القادم من قرطبة، فوفد القاضي أبي القاسم يتكون من ثلاثة أشخاص وهم: أبو محمد، أبو الحسن، أبو عبد الله، والوفد الثاني يتكون من نفس الأشخاص: أبو محمد، وأبو الحسن، وأبو عبد الله، من خلال ذلك نستنتج أن القاضي أبي القاسم المذكور في الرسالة الأولى هو نفسه الشيخ أبي فلان المذكور في الرسالة الثانية وهو نفسه قاضي قرطبة في الرسالة الأولى[2].

[1]- مؤلف مجهول، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، ج10، ص13-17.

[2]- محمد خياري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، ص52.

سنة 543هـ/1149م فتحت مدينة قرطبة وملكها الموحدون[1]، نستنتج من ذلك أن بيعة أهل قرطبة الثانية هي تجديد للبيعة الأولى، وتاريخ البيعة الأولى كان في نفس السنة التي فتحت فيها قرطبة، والثانية في 544هـ/1150م أي أن الفترة المحصورة بين البيعة الأولى والثانية لم تتجاوز عاما واحدا[2].

بويِع عبد المؤمن بن علي بيعة خاصة لكتم وفاة ابن تومرت وارتضاه أصحابه العشرة لمدح ابن تومرت له وتقديمه للصلاة ولما رأوه فيه من شجاعة وبسالة وثبات على الحق، ثم كانت البيعة العامة[3].

لمّا توفي محمد بن تومرت وبعد أن عهد بأمره من بعده لصاحبه عبد المؤمن بن علي الكومي، "وخشي أصحابه من افتراق الكلمة وما يتوقع من سخط المصامدة ولاية عبد المؤمن بن علي لكونه من غير جلدتهم فأرجئوا الأمر إلى أن تخالط بشاش الدعوة قلوبهم وكتموا موته زعموا ثلاث سنين يموّهون بمرضه... يدخل أصحابه إلى البيت كأنه اختصهم بعبادته فيجلسون حوالي قبره ويتفاوضون في شؤونهم ... ثم يخرجون لإنفاذ ما أبرموه ويتولاه عبد المؤمن بتلقينهم"[4]

---

[1]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص191.

[2]- محمد خياري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، ص53.

[3]- لسان الدين بن الخطيب، **تاريخ المغرب العربي الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تح: أحمد مختار العبادي، محمـــد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1964م، ص271.

[4]- ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج6، ص305-306.

حتى إذا وصلت الدعوة إلى كافة الناس ووافقوا عليها ورضوها، كشفوا عنها بتولية الأمر لأحد من العشرة المتبقّين وهو الشيخ أبو حفص عمر الهنتاتي، فوافق الناس واتّبعوه واجتمعوا على بيعة عبد المؤمن، وتمت بيعته بمدينة تينملل سنة 524هـ/1130م[1].

من رسائل البيعة الخاصة بولاية العهد، الرسالة التي كتبها أبو جعفر بن عطية عن الخليفة عبد المؤمن إلى الطلبة[2] الذين بسبتة[3] وطنجة[4] وجميع من بهما من الموحدين من أشياخ وأعيان والخاصّة والعامّة يخبرهم بما اتفقت عليه العشائر العربية الهلالية والقبائل الشرقية –مناطق تونس

[1]– ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج6، ص305-306.

[2]– الطلبة: في العصر الموحدي هم شباب طلاب العلم والفقه على مذهب محمد بن تومرت، واللفظ ينطق في اللغة الجارية في المغرب طُلْبَه، ينظر: عبد الواحد المراكشي، **وثائق المرابطين والموحدين**، ص155.

[3]– سبتة: تقع على ضفة البحر الرومي وهو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط، وهي في طرب من الأرض، داخل من الغرب إلى الشرق ضيق جدا والبحر محيط بها شرقا وشمالا وقبلة، وهي مدينة كبيرة مسورة بسور ضخم محكم البناء بناه عبد الرحمان الناصر لدين الله، وحماماتها يجلب إليها الماء على الظهر من البحر، وأهلها عرب وبربر، فبعربها تنسب إلى صدب وبربرها من ناحية أصيلة والبصرة ولم تزل دار علم، وهي مدينة قديمة سكنها الأول وبها آثارهم بقايا كنايس وحمامات افتتحها الناصر لدين الله في ربيع الأول سنة 319هـ/641م، ينظر: أبي عبيد البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1857م، ص102-104.

[4]– طنجة: تدعى عند البرتغاليين طنجيرة، وهي مدينة عظيمة أزلية، ويقول الثقات من المؤرخين أن الرومان هم الذين أسسوا طنجة على شاطئ المحيط في الوقت الذي كانوا يحكمون فيه إسبانيا، على بعد ثلاثين ميلا من أعمدة هرقل (سبتة) ومائة وخمسين ميلا من فاس، ولما حكم القوط اسبانيا ضمت طنجة إلى سبتة إلى أن سقطت بيد المسلمين، ومازالت طنجة مدينة متحضرة شريفة مأهولة بأحسن العناصر من السكان، مشتملة على قصور جميلة قديمة وحديثة، ينظر: حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ج1، ص314.

وغيرها- بتنصيب محمـــد[1] وليا للعهد واجتمعوا على بيعته، جاء في رسالته: "... رأينا أن نعلمكم بما عقده إخوانكم الموحّدون ... أشياخ الأنظار وأعيانها ... هذه العشائر العربيّة الهلاليّة والقبائل الشرقيّة ... صرحوا لأوّل لقائهم بما أضمروه ... واعلموا أنّ محمّدا -وفّقه الله- هو الذي ارتضوه لحمل عبئهم وتخيّروه ... ونحن بين ذلك كلّه على غير قصد ننويه، وما نظهره منه مثل الذي نبطنه ونطويه ..."[2].

ففيها قد بيّن الخليفة عبد المؤمن موقفه لهم بأن هذا الأمر لم يكن مخطط له مسبقا أي دون نية أو قصد منه وإنّما كان جرّاء ما اجتمعوا عليه الشيوخ والأعيان، ثم ذكر بيعة أبي حفص عمر بن يحيى أحد أصحاب ابن تومرت العشرة المقربين الذي أبدى رغبته في هذا الأمر، وتمت مبايعة الأمير محمـــد بن أمير المؤمنين عبد المؤمن وليا للعهد[3]، وهذا ما توضحه الرسالة" ... وتقدّمهم الشيخ الأجّل خونا أبو حفص عمر بن يحيى -أعزّه الله بتقواه-فقال: هذا أمر نحن بتقديمه، وأعلم بوجوبه ولزومه، وأولى بتأميره علينا وتحكيمه، ونحن السابقون إلى مبايعته على

[1]- محمد: هو محمد ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي، كان عبد المؤمن قد عهد في حياته إلى أكبر أولاده محمد وبايعه الناس وكتب ببيعته إلى البلاد، فأبى تمام هذا الأمر لمحمد لما كان عليه من أمور لا تصلح معها الخلافة من إدمان شرب الخمر واختلال الرأي، وكثرة الطيش وجبن النفس، ولما مات عبد المؤمن اضطرب أمر محمد واختلف عليه اختلافا كثيرا فكانت ولايته إلى أن خلع خمسا وأربعين يوما واتفقوا على خلعه في شعبان سنة 558هـ/1163م، وكان الذي سعى في خلعه أخواه يوسف وعمر، ينظر: عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص306-307.

[2]- مؤلف مجهول، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، ج10، ص55.

[3]- محمد خياري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، ص54.

حدود الشرع ورسومه فهو مختارنا للدين والدنيا، ومسؤولنا المأمول للحياطة والرعيا... وانعقدت البيعة المذكورة ... وابتدأها الشيخ الأجّل أبو حفص المذكور... وتتابع الأشياخ والطلبة بعده على درجاتهم... وباشرها من حضرها من القبائل الموحدين وسائر إخوانهم المؤمنين قبيلا بعد قبيل..."[1].

أمر عبد المؤمن سنة 551هـ/1157م بالبيعة لولده محمـــد حتى يتولى الحكم من بعده وكان الشرط والاتفاق بين عبد المؤمن وأبو حفص عمر أن يعود إليه الأمر من بعد عبد المؤمن لكن لمّا وصل عبد المؤمن إلى الحكم واستقر له الملك وكثر أولاده، تراجع عن رأيه وأراد أن ينتقل الملك إلى أبنائه، فاجتمع بأمراء العرب من هلال وزغب وعُدَي وغيرهم، وجعل بينهم من يقول لهم أن يطلبوا من عبد المؤمن ويقولوا له: "نريد أن تجعل لنا ولي عهد من ولدك يرجع الناس إليه بعدك ففعلوا ذلك"، فلم يجبهم إكراما لعمر لعلو منزلته في الموحدين وقال لهم إن الأمر لأبي حفص فلما علم عمر ذلك خاف على نفسه فحضر عند عبد المؤمن وأجاب إلى خلع نفسه، فحين إذ بويع محمـــد بولاية العهد وكتب إلى جميع بلاده بذلك وخطب له فيها جميعها[2].

[1]- مؤلف مجهول، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، ج10، ص55.

[2]- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مج 9، ص407-408.

وصل محمـــد بن عبد المؤمن سنة 547هـ/1153م إلى مراكش منتصرا بعد أن خاض معركة في بجاية ضد بني حماد[1]، ولمّا بقي فيها اجتمع عليه الناس من جميع بلاده فرحين مهنئين بعودته ومن بينهم جماعة إشبيلية وفيهم القاضي أبو موسى عيسى بن عمران فأنشد يحرض على بيعة أبي عبد الله محمـــد بن الخليفة عبد المؤمن، أعجب بها الخليفة وكانت "حاجة في نفس يعقوب" ولقيت هذه القصيدة قبولا من الموحدين وعلى إثرها بدأ الناس كافة يبدون رغبتهم في هذا الأمر الجلل فرضي عنهم أمير المؤمنين وفي سنة 548هـ/1154م انتقل محمـــد من مراكش إلى سلا لإتمام البيعة لنفسه فلما وصل تمت مبايعته من قبل الجميع على أكمل وجه، وجاء الشعراء من الأندلس مهنئين له على هذه البيعة المباركة[2].

لكن قبل وفاة أمير المؤمنين عبد المؤمن بفترة قصيرة خلع ابنه محمـــد، وعيّن مكانه ابنه يوسف، وبقي هذا الأخير مدة خمس سنوات يلقب فيها بالأمير، بسبب العديد من المشاكل

[1]- بني حماد: هي فرع من دولة آل زيري بن مناد الصنهاجي، وتنسب إلى مؤسسها الأمير حماد الصنهاجي، وقد قامت بالزاب والمغرب الأوسط في أواخر المائة الرابعة، وخرج صاحبها عن دعوة العبيديين أصحاب مصر، واستمر الملك في أسرته قرن ونصف، وسنة 547هـ/1153م أخذ الموحدون القلعة وهي مركز دولتهم بالجزائر، من يد صاحبها يحيى ابن عبد العزيز الصنهاجي آخر ملوك بني حماد، وانتهت بذلك دولتهم، ينظر: يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** تر: محمد عبد الله عنان، تق: سليمان العطار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م، ج2، ص49.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج5، ص 49.

التي اعترضته في فترته الأولى من الحكم حتى عام 563هـ/1168م تمت مبايعته من قبل جميع الموحدين وعندها لقب بأمير المؤمنين[1].

ومن رسائل البيعة التي ذكرها ابن صاحب الصلاة، كتاب أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن إلى الشيخ أبي عبد الله بغرناطة[2]، والذي يعد جوابا عن رسالة أهل غرناطة المتمثلة في تجديد البيعة الرضوانية والإسمية الإمامية للخليفة يوسف، وهي نفس السنة التي أرسل فيها لأهل إشبيلية رسالة تجديد بيعتهم وكانت رسالة الخليفة كذلك ردّا على رسالة الشيخ أبي عبد الله الذي أرسل كتابا للخليفة معبّرا عن فرحته بهذه البيعة المباركة، ويخبره الخليفة في رسالته عن وصول وفد البيعة إليه وانعقادها، ورضاه عن أهل غرناطة، ومما جاء في الرسالة: " ... من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ... إلى الطلبة الذين بغرناطة ... وقد وصلنا كتابكم من عند الشيوخ من غرناطة حرسها الله والموحّدين ... ورأينا ما تحمّلوه عن الموحدين بغرناطة وجيرانهم من انعقاد إجماعهم ... من الأمر الذي أوجبوا على أنفسهم المبايعة عليه، وإعطاء صفقة اليد فيه ..."، يجدر الإشارة أن الخليفة يوسف ذكر أن البيعة تتم عن طريق رفع اليّد اليمنى[3].

---

[1]- محمد خياري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، ص55.

[2]- غرناطة: تقع في الركن اشمالي لشبه الجزيرة الإيبرية، اتسعت في القرن 5هـ-11م إلى أن أصبحت مركزا للثورة، وذلك لأن بني زيري اتخذوها عاصمة لهم، وازدادت أهمية غرناطة بعد سقوط الأمصار الأندلسية، حيث أصبحت حاضرة ملوك بني الأحمر، وقد عرفت باسم دمشق الأندلس لشدة التشابه بينهما، كما أنها موطن جند دمشق، ويقال لها: غرناطة اليهود لكثرتهم فيها، وظلت غرناطة بأيدي المسلمين إلى أن سقطت بيد النصارى عام 898هـ/1492م، ينظر: أبي عبد الله بن أحمد بن غازي، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تح: عطا أبورية، سلطان بن مليح الأسمري، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007م ص81.

[3]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص265، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ق2، ص732-733.

بويع يوسف بعد وفاة أبيه، وعندما مات عبد المؤمن كتم موته بسبب غياب ولده الخليفة وبعده في بلاد الأندلس، فلم يشاع عن موته إلى أن قدم يوسف من إشبيلية، وأن يوسف بويع بيعة الجماعة، واتفقت الأمة على بيعته يوم الجمعة 8 ربيع الأول 560هـ/1165م وذلك بعد وفاة والده بسنتين، لأنه لما بويع بعد وفاة والده توقف عن بيعته قوم من أشياخ الموحدين وامتنع عن بيعته أخواه عبد الله ببجاية ومحمـــد صاحب قرطبة، فلم يناديهم للبيعة وسمي بالأمير بدل أمير المؤمنين حتى التف الناس حوله سنة 559هـ/1164م، وقدم إليه أخواه عبد الله ومحمـــد طائعين مبايعين وبقدوم أشياخ مدينتيهما فرضي عنهم أمير المؤمنين وأثابهم[1].

بعد تولي أبي عبد الله محمـــد الحكم بعد أبيه ولسوء تسييره لأمور البلاد وتفرغه للراحة خلعه أخوه أبو يعقوب يوسف سنة 558هـ/1163م، وتولى الحكم مكانه وكان أهلا له عارفا بسياسة رعيّته متحمّلا مسؤولية دولته[2].

بويع أبو يعقوب بعد موت والده بفضل أبي حفص الهنتاني وتابع سياسة والده في داخل المغرب وخارجه، وتلقب بالأمير في البداية ولم يتخذ لقب الخلافة إلّا بعد أربع سنوات من توليته[3].

---

[1]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص208.

[2]- محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواري، محمّـــد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، مج1، ص465-466.

[3]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 268.

بعد وفاة الخليفة الثاني يوسف بن عبد المؤمن، أرسل الخليفة الثالث يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن رسالة من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن محشرة إلى طلبة غرناطة في 7 جمادى الأولى 580هـ/1185م يعلمهم ببيعته ويدعوهم إلى الاشتراك فيها ونشرها عن طريق الخطب ونسخها إلى جميع الأماكن التابعة لها وجـــميع الموحدين بغرناطـــة، إذ يقول: "... لم تزل رغبات الموحّدين ... وإخوانهم العـــرب ... تترادف على سيّدنا أمير المؤمنين ... وبادر الأعيان من الموحدين وغيرهم ... إلى البيعة وسارعوا ... والتزموا فروض البيعة بشروطها وقيودها ... ورأينا -وبالله التوفيق- أن نعرّفوكم بهذا الأمر الأعظم الأخطر، لتأخذوا منه بالحظّ الأوفر ... استدعت هذه الحالـــة التي عرّفتم بها أن يزاد في الخطبة الزيادة التي اشتمل عليها المدرج في طيّ هذا الكتاب؛ فضعوها في موضعها منه، واكتبوا بنسخها إلى جميع جهاتكم إن شاء الله ..."[1].

خلّف الحكم الوراثي لبني عبد المؤمن صراع بين الخلفاء على السلطة وما يثبت ذلك خلع الخليفة العادل[2] وقتله أصبح هناك خليفتان إدريس المأمون الذي بويع بإشبيلية في 2 شوال 624هـ/1227م ويحيى المعتصم[3] ابن الناصر الذي بويع بمراكش في أواخر شوال من نفس

[1]- مؤلف مجهول، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، ج10، ص158.

[2]- العادل: هو أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، الملقب بالعادل (621هـ-1225م/624هـ-1227م)، ينظر: أبو عبد الله محمد بن الشمّاع، **الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر بن محمد المعموري، دار العربية للكتاب، سكرة، 1984م، ص53.

[3]- يحيى المعتصم: هو يحيى بن الناصر أبي عبد الله محمد بن يعقوب المنصور بالله، كنيته أبو زكرياء، تلقب بالمعتصم بالله كانت مدته تسع سنين، وكانت أيامه كلها نكدة، لم يستقم له الأمر إلّا نحو سنتين، وفي سنة 629هـ/1232م تلاقى

السنة وحاول المعتصم جذب الناس إليه بسبب تزايد أنصار المأمون ومدافعا عن أحقيته بالخلافة ومدعيا أن أخاه المستنصر قد فوض الأمر إليه، وكتب بذلك رسالة من إنشاء كاتبه أبو الحسن السرقسطي[1].

قال فيها: "... وأن تعلموا أن أمور الرعية لابد لها من حافظ يحفظها، ويراعي حق الله فيها ... وكان الأمر من مستحقيه وفي أهله إلى أن بلغ الأمر إلى المستنصر بالله أمير المؤمنين ... ولو أجّله أجلْه وساعده الأمل لألقى هذه القلادة إلينا ... وفي أثناء ذلك كادت قواعد هذا الأمر المهدي ... أن تتزعزع ... فتلافاه الأشياخ ... بما شدّ أركانه وأسّس بنيانه ... واقتضى نظرهم ... تحميلنا هذه الأمانة العظمى ... فأعطونا صفقة أيديهم، وعقدوا بيعتنا بنياتهم الصادقة وأيمانهم ... فادخلوا فيما دخل فيه الجمهور، وابعثوا بيعتكم بعد أخذها وثيقة الأساس ..."[2].

اجتمع مشايخ الموحدين على بيعة يحيى المعتصم بعد بيعتهم للمأمون وقتلهم العادل وسبب بيعة المعتصم أنهم كتبوا للمأمون بالبيعة وبعثوا بها إليه ثم ندموا وخافوا، لما رأوه في

بالمأمون أبي العلاء بمقربة مراكش، فانهزم يحيى وفرّ إلى الجبل، كانت وفاته بفجّ عبد الله بين مدينتي فاس وتازة وذلك في شوال سنة 633هـ/1236م، ينظر: مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ص166-167.

[1]- أبو الحسن السرقسطي: لم نتوصل إلى معرفة ترجمته، وما يمكن القول عنه أنه كان يكتب عن أبي زكرياء يحيى المعتصم بن الناصر، كتب عنه رسالة إلى الأمة يدافع فيها عن شرعيته ويجلب الناس إليه ليتفرقوا عن المأمون صاحب الأندلس، ينظر: مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، تح: أحمد عزاوي، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2001م، ج1، ص35.

[2]- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص379.

المأمون من شجاعة وقوة، خاصة لمّا قتلوا عمه عبد الواحد المخلوع[1] ثم أخاه العادل، فخافوا أن ينتقم منهم ويثأر لمقتل أقربائه فلجأوا إلى يحيى وبايعوه لصغر سنه كان يوم بويع ابن ست عشرة سنة ورفض كل من عرب الخلط وقبائل هسكورة[2]بيعة المعتصم وقالوا قد بايعنا إدريس المأمون فلا ننقض بيعته، فحضّر لهم يحيى جيشا من الموحدين وأرسلهم إلى قتالهم فتغلّب عليهم الخلط وهسكورة وهم في طاعة المأمون، ورجع الموحدين منهزمين إلى مراكش بعد أن قتل منهم عدد كثير، ساد في فترة حكمه القتل والهزائم وسلب الأموال وكثر الفساد والخراب في المغرب لكثرة الفتن، وعاد مشايخ الموحدين مرة أخرى يعبثون ببني عبد المؤمن يبايعون وينكثون ويخلعون ويقتلون، فلما رأى يحيى اختلاف الموحدين عليه واضطراب أمور البلاد وبيعة أكثرهم للمأمون هرب من مراكش إلى تينملل سنة 626هـ/1229م، وتم تجديد البيعة للمأمون بمراكش وكتبوا له يخبرونه بفرار يحيى وطلبوا القدوم إليهم، وبعد أربعة أشهر رجع المعتصم إلى مراكش وبقي به سبعة أيام وظلّ بين الجبلين ينتظر مجيئ المأمون لقتاله وبقي

[1]- عبد الواحد المخلوع: هو عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن، بويع بمراكش يوم الأحد 13 ذي الحجة سنة 620هـ/1224 وخلع يوم السبت 20 شعبان، خنق بعد ثلاثة أيام من خلعه يوم الإثنين 22 شعبان سنة 621هـ/1225م فكانت مدة خلافته بمراكش ثمانية أشهر وتسعة أيام، وخالف عليه عبد الله بن أخيه يعقوب المنصور الملقب بالعادل بمرسية ونازعه في اسم الخلافة بعد شهرين من بيعته إلى أن خلع وتخلص الأمر للعادل بالعدوتين بعد ستة أشهر من استبداده، ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص269.

[2]- هسكورة: هي قبيلة من البربر البرانس اضطرب النسابون في ترتيبها فجعلوها مرة مع صنهاجة لأنهم اخوتهم لأم، وجعلوها أخرى مع مصمودة للجوار وقرب السكن، كانت مواطنهم على عهد الموحدين بالسوس بين واديه ووادي ماسة، ينظر: البيدق، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، ص35.

يحيى يحارب المأمون ثم ولده الرشيد إلى أن قتل سنة 633هـ/1236م وحمل رأسه إلى الرشيد بمراكش[1].

ثانيا: الرسائل العسكرية

لعبت الرسائل العسكرية دورا هاما في الدولة الموحدية، تنوعت مواضيعها بين الدعوة إلى الجهاد والإخبار بالفتوحات والانتصارات والتوقيعات وحتى الهزائم، وجميع تلك الرسائل تصدر عن ديوان الخليفة واعتمدها الكتّاب كل حسب اختصاصه، من حيث إبراز صورة النصر أو الهزيمة، وصورة المجاهدين والأعداء وغيرها من الأمور المتعلقة بالجانب العسكري.

أ-الدعوة إلى الجهاد:

لهذه الرسائل قيمة كبيرة في التشجيع على الجهاد، وكذا التحضير والاستعداد له، وأهم وأول رسالة كتبت هي رسالة محمد بن تومرت الموجهة إلى جماعة الموحدين والتي تعد من أحسن الرسائل التي تضمنها هذا الموضوع.

في سنة 521هـ/1128م كتب ابن تومرت رسالة المنظمة إلى الموحدين في بعض غزواتهم[2] ويقصد بالذات تلك التي أرسلها عبد المؤمن إلى كزولة[3]، بينما في كتاب الرسائل

---

[1]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص248-249.

[2]- البيدق، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، ص95.

[3]- كزولة: تعتبر قبيلة كزولة إحدى القبائل الكبرى التي كانت تمتد مواطنها من سهل سوس إلى الشرق عبر السفوح الجنوبية للأطلس الصغير (جبل كزولة) وكانت لهذه القبيلة صلات خاصة بالدولة المرابطية، فظلت تدعمها ضد الموحدين

الموحدية ذكر أن رسالة ابن تومرت أرسلت ضمن رسالة أخرى وجهها عبد المؤمن إلى كزولة، وأشار إلى وجود رسالتان الأولى من ابن تومرت إلى جماعة الموحدين والثانية من عبد المؤمن إلى كزولة فالأولى تدعو إلى الجهاد أمّا الثانية فتذكّر بأقوال ابن تومرت[1].

يركز ابن تومرت في الرسالة على فكرة الجهاد، باعتباره فرض على المؤمنين ولمحاربة الكفار والمنحرفين عن الدين[2]، من خلال إبراز فضل الجهاد والثواب المجاهد، والمنزلة الرفيعة التي يحتلها الشهيد في سبيل الله ولم يقتصر الجهاد في رسالة ابن تومرت على السلاح فقط بل تعداه إلى الجهاد بالنفس والمال[3].

كما قال: "... فلما كان الحق لا ينصر، والدين لا يظهر إلّا بأنصار الحق والمجاهدين عليه عظم الله أمر المجاهدين وبيّن فضلهم، وأخبر أن الجهاد بالأموال والأنفس تجارة تنجي من عذاب أليم ..."[4]، مستشهدا في ذلك بآيات من القرآن الكريم قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَذِينَ ءَامَنُوا هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ اَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي

ولم تستجب لدعوة هؤلاء إلا بعد هزيمتها أمامهم سنة 533هـ/1139م وظهور ضعف المرابطين، ويبدو أن عبد المؤمن استغل فرصة تطور الصراع المسلح مع هؤلاء في إطار حملته الطويلة الجبيلة لجرهم بعيدا عن عاصمتهم فحاول استمالة كزولة حتى لا تنحاز من جديد إلى المرابطين، ينظر: مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، تح: أحمد عزاوري، ج2، ص12.

[1]- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص44.

[2]- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج2، ص13.

[3]- محمد خياري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، ص103.

[4]- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص45، محمد بن تومرت، المصدر السابق، ص258.

سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا اَلَانْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ اَلْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[1].

كما أشار إلى عظمة الشهادة، وأن القتل في سبيل الله حياة، مستشهدا كذلك بآيات من القرآن الكريم: حيث قال"... ولهذا عظم الله الشهادة وجعل القتل في سبيل الله حياة[2] ... قال تعالى: "وَلَا تَحْسِبَنَّ اَلذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلَ اَحْيَاءُ عِنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ"[3].

وكذا ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بفضل الشهادة، فرغبوا بها وسألوا الله عزّ وجل أن يبلغهم إيّاها، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه "... فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الشهادة أمر بذلك أصحابه وتمنى القتل في سبيل الله ... فلما علم أصحابه فضل الشهادة سألوا الله عزّ وجل أن يرزقها لهم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "اللهم أرزقني شهادة في سبيلك ..."[4].

اعتمد ابن تومرت في رسالته على الطابع الروحاني في مخاطبة الشعور والحماس الديني عند الموحدين، كما أراد يزرع في نفوسهم فكرة الجهاد[5].

---

[1]- سورة الصف، الآية 10-11-12.

[2]- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص45-46، محمد بن تومرت، المصدر السابق، ص259.

[3]- سورة آل عمران، الآية 169-170.

[4]- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص45-46، محمد بن تومرت، المصدر السابق، ص259.

[5]- محمد خياري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، ص104-105.

كما دعاهم في رسالته إلى محاربة الكفار المخالفين للدين ويقصد المرابطين، والذين يتهموننا بالخروج عن الدين، وهم من يقومون بهدم الدين والقضاء عليه ونشر أفكار الباطل والظلال والفساد، وختم رسالته بالتأكيد على ضرورة الجهاد والصبر عليه وانتظار الثواب من الله جلّ في علاه، إذ قال: "... فجهاد الكفرة الملثّمين ... لا عذر لأحد في تركه ... فإنهم سعوا في هدم الدين وإماتة السنة ... أن من رأوه تاب إلى الله وأناب إلى الخير ... وترك الفواحش والمحارم ... قالوا له ضللت وخرجت عن الدين، نسبوه إلى البدعة ... مع علمهم بأنهم لا يأمرون إلا بالباطل والفساد والضلال ... فخذوا بحظكم من الجهاد على الحق ونصره ... واصبروا على دينكم في البأساء والضراء ... فأيقنوا بثواب الله وصدّقوا بما ورد في الجهاد ..."[1].

ب-الإخبار بالفتوحات:

كان الخليفة الموحدي يبشر بالرسائل الرعيّة بانتصار الجيش الموحدي في معركة معينة أو بفتح مدينة جديدة، وهو أمر يدل على استمرارية الحروب والمعارك العسكرية التي خاضها الموحدون طيلة فترة حكمهم ضد أعدائهم.

[1]- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص46-49، محمد بن تومرت، المصدر السابق، ص260-264.

بعد وفاة ابن تومرت تولي عبد المؤمن الخلافة من بعده، قام بالعديد من الحملات العسكرية، ومن بينها فتح مدينة تارودانت[1] في سنة 529هـ/1135م كبرى مدن السوس، كان يوجد بها أحد أهم القبائل المدعمة للمرابطين وهي جزولة زيادة على ذلك الأهمية الاقتصادية التي كانت تتمتع بها المنطقة فبعث عبد المؤمن برسالة إلى الموحدين ومما جاء فيها: "... ثم نزل الموحدون في وسط تارودانت، واستقروا بها ساكنين وهزموها وحرقوها وأطلقوا النار في القصب إذ لا يقدر عليه من كثرته إلا بالنار، ونحن ننظر ... واستمرت الهزيمة عليهم، والحمد لله الذي أخذهم بذنوبهم، وانتقم منهم بحربهم"[2].

ورسالة أخرى لأمير المؤمنين عبد المؤمن في 10 شعبان 547هـ/1153م من إنشاء الكاتب أبي عقيل بن عطية إلى الطلبة الموجودين بتلمسان[3] يعلمهم بفتح قسنطينة[4]، وهزيمة

---

[1]- تارودانت: هي قرية كبيرة جدا في بلاد السوس الأقصى تعرف بتارودانت، وهي أكثر بلاد الله قصب سكر وفيها معاصر السكر كثيرة وهذا البلد أخصب بلاد المغرب وأكثرها فواكه وخيرات، ومنها يجلب السكر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية وهو المشهور بالطبرزد، ينظر: مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ص211-212، وهم أخلاط من البربر المصامدة، وأهل مدينة تارودانت يتمذهبون بمذهب المالكية من المسلمين وهم حشوية، ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص228.

[2]- ابن قطان، المصدر السابق، ص238-239، مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص50-52.

[3]- تلمسان: هي مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة أزلية تنبأ أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة، كانت تلمسان دار مملكة زناتة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر، وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات والنعم، ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة ومدن كثيرة ترجع إلى نظرها، وفي الجنب من مدينة تلمسان قلعة منيعة كثيرة الثمار غزيرة المياه والأنهار ويتصل بها جبل تاوزانية وفي الجنوب من مدينة تلمسان قرية كبيرة تسمى باب القصر، وتلمسان مدينة علم وخير ولم تزل دار العلماء والمحدثين، ينظر: مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ص176-177.

[4]- قسنطينة: هي من مشاهير بلاد إفريقية بين تيجس وميلة، وهي مدينة أولية كبيرة آهلة فيها آثار الأول، كثيرة الخصب رخيصة السعر، على نظر واسع وقرى عامرة، وبها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذو أحوال وأموال ومعاملات للعرب

الأعداء والاستيلاء على البلاد، كما أخبرهم في نفس الرسالة باستسلام يحيى بن العزيز صاحب بجاية وطلبه الأمان له ولمن اتّبعه كما بشر بعودته إلى التوحيد، كما جاء في رسالته: "... وقد تقدم إعلامكم ... بما كان من صنع الله تعالى في فتح البلاد ... بلد قسنطينة ... وعلمتم كيف انهزمت له جموع الضلال وأحزابه، وحلّ الموحدون هناك ... وأنّ أبا زكريا يحيى بن العزيز ... وجميع إخوته وقرابته ... حين أتاهم الذائد الذي لا يكذب أهله، وانتحاهم القائد المبيح ... لم يكن لهم بدّ عن التولّي عن قرارهم والتخلّي عن أوطانهم وأقطارهم ..."[1].

في عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، تعرضت الأندلس إلى عدة هجمات من قبل النصارى، فبعث الخليفة برسالة من مراكش إلى الطلبة والموحدين الموجودين بالأندلس وهي من إنشاء الكاتب أبي الحسن بن عياش في ربيع الأول سنة 564هـ/1169م[2].

احتوت الرسالة في بدايتها على وصية الخليفة للموحدين بتقوى الله تعالى وطاعته والتوكل عليه لضمان النصر، ثم أخبرهم باهتمامه بأمر الأندلس وأنه على اطلاع بما يجري بها، وأنه مستعد لنصرتها، مشيرا إلى توفر كل ما يلزم لمواجهة العدو من عدة وعتاد، وأن الجيش

وأصحاب حنطة، والعسل والسمن كثير ويتجهز بها إلى سائر البلاد، وقسنطينة حصينة في غاية المنعة والحصانة، وهي من أحصن بلاد الدنيا، وهي مطلة على فحوص ومزارع والحنطة والشعير ممتدة في جميع جهاتها، ولها في داخل المدينة ومع سورها مسقى يستقون منه ويتصرفون منه في أوقات حصارها متى طرقها عدّو، ينظر: الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ص480-481.

[1]- مؤلف مجهول، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، ج10، ص22-26، عبد الله كنون المرجع السابق، ص413-417، محمد المنوني، المرجع السابق، ص186-190.

[2]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص292.

الموحدي سيتم إرساله رفقة الشيخ أبي حفص، فأوصاهم بالتعاون معهم لإتمام هذا الأمر ألا وهو نصرة الأندلس فقد قال في رسالته: "... وما زلنا وفقكم الله، على أتم العناية بتلكم الجزيرة ... والإنتواء لنصرتها والعمل قصد ذلك بالمباشرة ... وتوفرت دواعي لنصرتها وجهاد عدوها ... ورأينا في أثناء ما نحاوله ... أن نقدم بين أيدينا عسكرا مباركا من الموحدين ... صحبة الشيخ الأجلّ أبي حفص ... فتتعاونون مع إخوانكم الواصلين ... على جهاد أعدائكم، إلى أن يوافيكم إن شاء الله هذا العزم ..."[1].

كان الخليفة يوسف قد أرسل من قبل رسالة إلى والي غرناطة يخبره بعزمه على المجيء إلى الأندلس لكن نتيجة ظروف طارئة اضطر للبقاء فترة أخرى بالمغرب لمواجهة بعض الثورات وبسبب استمرار هجمات النصارى على الأندلس أرسل في حالة استعجالية قوة عسكرية بزعامة الشيخ أبي حفص الهنتاني إلى الأندلس، والهدف هو القضاء على الأعداء[2].

إن سبب تعجيل حركة الشيخ أبي حفص إلى الأندلس دخول النصارى وتضييقهم الحصار على الموحدين، وضغط من قبل الكفار، فأعد لهم الخليفة جيش ضخم بقيادة أبي

[1]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص292-295، مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص121-123، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ق2، ص734-737، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص394-395.

[2]- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص121.

حفص ليلقي الرعب في قلوب النصارى ويقضي عليهم، وبوصولهم فرح أهل الأندلس واستبشروا بقدومه[1].

ج–المعاهدات والتوقيعات:

دخل أحفاد عبد المؤمن في مرحلة بناء الدولة، إذ أقيمت علاقات عدة مع الممالك الإسبانية ودام ذلك لعدة سنين، لم تنته إلا بانتهاك من طرف الممالك الإسبانية، أو اعتداء تسبب فيه أحد رعاياها.

وأول رسالة معاهدة تم عقدها بين السلطة الموحدية والممالك الإسبانية، نجدها في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة 569هـ/1173م وهي من إنشاء الكاتب أبو الحسن بن زيد الإشبيلي[2] إذ بعث رسالة من إشبيلية إلى الطلبة والموحدين والكافة الموجودين بمراكش، يعلمهم فيها بالصلح وبتوقيع هدنة بينه وبين النصارى، إذ يقول: "... تسابقت وتلاحقت وفود الروم لبأس الله راهبين، وفي أخذ حبل من الله ومن أهل دينه راغبين، قد بخعوا بالضراعة وتدوّخوا بالذلة ... وخلعوا حمية الجاهلية خلع الحذاء ... وكان أولهم في ذلك ملك برتغال

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص105.

[2]– أبو الحسن بن زيد الإشبيلي: هو أبو الحسن علي بن زيد النجار الكاتب من أهل إشبيلية كتب للخليفة يوسف بعد وفاة الكاتب أبي الحسن بن عياش ، ولا نعرف له من الرسائل التي كتبها عنه غير اثنتين، الأولى من إشبيلية حول انتصار فرقة موحدية على جماعة فرسان آبلة في 24 شعبان سنة 568هـ/1173م، والثانية كتبها عنه أيضا بإشبيلية حول عقد هدنة مع بعض الممالك الإسبانية، يوصف بالنبل والبراعة في الأدب، كان ملازما للخليفة يوسف، غير أن حياته لم تطل إذ مات سنة 571هـ/1176م، ينظر: مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص24.

ونصارى الغرب ... وتمسك ابن السّليطين المسمى فرانده[1]، بعهد منا كانت بلّت به يداه ... ثم ردفت ضراعة ملك طليطلة[2] وما والاها ..."[3].

توضح الرسالة أن المعاهدة الجديدة التي تم إبرامها كانت بين الموحدين ومملكتين إسبانيتين هما البرتغال وقشتالة[4]، وأما المملكة الإسبانية الثالثة ليون[5] وهي تابعة لمملكة فرانده ابن سليطين بقيت متمسكة بمعاهد لها سابقة مع الموحدين وما كانت لتتم هذه المعاهدة بين الموحدين والنصارى لولا الخلافات الواقعة بين النصارى فيما بينهم، وعقدت هذه المعاهدة بعد مشاورة الخليفة لشيوخ الموحدين، واعتبر هذا الصلح، فتحا جديدا للمسلمين[6]، وهذا ما صرّح

[1]- ابن السّليطين فرانده: السليطين هو ألفونسو ريموندیس ملك قشتالة وليون المتوفى سنة 552هـ/1157م، وابنه فرانده وهو فرناندو الثاني ملك ليون حتى سنة 583هـ/1188م، ينظر: مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص142.

[2]- طليطلة: هي مركز لجميع بلاد الأندلس، عظيمة القطر كثيرة البشر، وهي كانت دار الملك بالأندلس حين دخلها طارق وهي حصينة لها أسوار حسنة وقصبة حصينة، وهي أزلية من بناء العمالقة، وهي على ضفة النهر الكبير، وقلما يرى مثلها إتقانا وشماخة بنيان، وهي عالية القدر حسنة البقعة، ولها قنطرة من عجائب البنيان، كانت طليطلة دار مملكة الروم، ووجد أهل الإسلام فيها ذخائر عد افتتاح الأندلس كادت تفوت الوصف، فمنها مائة وسبعون تاجا من الذهب مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة، ووجد فيها ألف سيف مجوهر ملوكي، ومدينة طليطلة قاعدة القوط ودار مملكتهم، وكان أخذ النصارى لطليطلة في منتصف محرم سنة 478هـ/1086م، ينظر: الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص393-395.

[3]- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص140-143.

[4]- قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس قصبته اليوم طليطلة وجميعه اليوم بيد الإفرنج، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج4 ص352.

[5]- ليون: تقع شمال سمورة، وهي قاعدة من قواعد قشتالة، ينظر، ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص295، بها معاملات وتجارات ومكاسب ولأهلها همّة ونفاسة، ينظر: الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص514.

[6]- محمد خياري، **رسائل موحدية جمعا وتحقيقا ودراسة**، ص38.

به يوسف في الرسالة: "... والسواد الأعظم من روم الجزيرة على ما بينهم من تأكد فرقة وشتات ... فجاءوا متطارحين متضائلين مفصحين بأن الاضطرار أجاءهم ... ولما ظهرت –وفقكم الله– ظواهر المصلحة ... وأضاء وجه الرأي وشهد شاهد الشرع ... طالعناكم ... بهذا الفتح الكريم..."[1].

لجأ النصارى إلى السلم خوفا من تضاعف هجمات الغزو الموحد، وطلب المهادنة وكان أول من سعى للصلح هو الكونت نونيودي لارا حاكم طليطلة ثم بعده ملك قشتالة ألفونسو الثامن والذي أرسل رسله إلى الخليفة، ولحق به ألفونسو هزيكيز ملك البرتغال في نفس الوقت مع ملك قشتالة، فبعض رسله في طلب الصلح والمهادنة، ودامت المفاوضات نحو شهرين، وانتهت بعقد الهدنة بين الخليفة يوسف وبين ملوك النصارى وذلك في شهر ذي الحجة سنة 568هـ/1173م، ومن الأسباب التي جعلت الخليفة يوافق على الصلح والمهادنة رغبته في التفرغ لأعمال الإنشاء وتعمير البلاد، بعد الخراب والدمار الذي حلّ بها من جرّاء العدوان[2].

وفي عهد الخليفة يعقوب المنصور، وهو العهد الذي سمي بالعصر الذهبي، ولعل أهم حدث ميّز فترة حكم المنصور هو معركة الأرك الشهيرة، بدأت قصة هذه المعركة برسالة بعثها ملك الفرنج ألفونسو الثامن ملك قشتالة، يهدد فيها الخليفة يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن بن علي ومما جاء فيها: "باسمك اللهم فاطر السماوات والأرض ... وقد علمت الآن ما عليه

[1]– مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص143.

[2]– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ق2، ص89-90.

رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال الرعية ... وأنتم تزعمون أنّ الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منّا بواحد منكم فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ... فلا تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا ..."[1].

فلمّا قرأها الخليفة يعقوب مزّقها وكتب على ظهر قطعة منها: "قال تعالى: "ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ"[2]، الجواب ما ترى لا ما تسمع"[3].

إلى جانب استفزاز ألفونسو الثامن ملك قشتالة من خلال كتابه الذي أرسله، كانت الأندلس تعاني من الحصار النصراني الذي نقض الهدنة التي بقي منها القليل، إذ اجتمعت طائفة من الإفرنج في جيش كبير إلى بلاد المسلمين وعاثوا فيها فسادا ونهبا وتخريبا، كان الأمر فظيعا فلما وصل الخبر إلى الخليفة يعقوب وهو بمراكش تجهز بنصرتهم في جيش ضخم من قبائل العرب والموحدين ووصل الأندلس وانطلق في معركة تعد آخر معركة عظمى حقق فيها المسلمون انتصارا حاسما على الإسبان ألا وهي معركة الأرك[4].

---

[1]- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج10، ص236.

[2]- سورة النمل، الآية 37.

[3]- شهاب الدين أبي الفلاح بن العماد، **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1988م، مج6، ص525، المقري، المصدر السابق، ج3، ص102، عبد الله كانون، المرجع السابق، ص420.

[4]- محمد مقديش، المصدر السابق، مج1، ص469، حسين سيد مراد، **المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين (454-668هـ/1062-1269م)**، دار السعادة، القاهرة، 1994م، ص60.

في سنة 591هـ/1195م كانت الهزيمة الكبرى على النصارى والتي لم يشهد مثلها، وأمر الخليفة يعقوب كاتبه أبا الفضل بن محشرة أن يختصر في رسالة هذا الفتح[1].

كما أمر بنشر الخبر من منابر المساجد في جميع أنحاء مملكته الواسعة، وخصص خمس الغنائم بعد أن وزع ما تبقى منها على الجند، لبناء مسجد ضخم في إشبيلية، وبناء حصن كبير في مراكش تخليدا لذكرى الواقعة[2].

د-الهزائم:

لم تقتصر رسائل الخلفاء حول الإعلام بالفتح والانتصارات فقط بل تجاوزتها بالإعلام عن الهزائم وخير دليل على ذلك رسالة الخليفة الناصر التي كتبها معتذرا عن الهزيمة في موقعة العقاب

في أواخر صفر 609هـ/1213م وهي من إنشاء الكاتب ابن عياش، تحمل الرسالة بين طياتها عدة معاني، تحدث عن النصارى وعن الدعم الذي قُدم لهم من عدد وعدة لاجتياز هذه المعركة بنجاح، إذ قال: "... فجاءه عبّاد الصليب من كل فجّ عميق ومكان سحيق... وكان أولهم سبقا الإفرنج المتوغلون في الشرق والشمال، ثم تابعهم البرجلوني بما عنده من العدد والرجال ..."[3].

[1]- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ص159.

[2]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص87-88.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص263، مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص269.

ثم بدأ يطمئن الموحدين بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة مذكرا لهم بأنهم الأمة التي ليس لها مثيل، وأن النصر هذه المرة كان حليف الروم لكن الانتصار الأبدي فهو لأهل الإسلام وأهل الإيمان، حيث قال:"... وعلمنا أن الأمة التي ليس لها في الأرض نظير ... فكانت عاقبة اليوم على الخصوص لأهل الصلبان، والعاقبة المطلقة هي لأهل الإسلام والإيمان ..."[1].

تكررت غزوة حنين مع الناصر لدين الله في موقعة العقاب، وهو يملك قوة عظمى من الموحدين وفي أضخم جيش على الإطلاق بل وفي أكبر جيوش المسلمين في بلاد الأندلس منذ أن فتحت في سنة 92هـ/711م، ونتيجة للأخطاء المتكررة كان من الطبيعي أن تحدث الفاجعة أي الهزيمة[2].

ومما قاله في هذا الصدد: "... كذلك كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والوحي غضّ نضير ... وكذلك كانت في زمن الصحابة رضي الله عنهم، كل ذلك ليعلم الشاكر والصابر منهم ... وإذا كانت ... الرايات منشورة، والعزائم باقية ... فلا تهنوا فإنّا لا نهن، وانتظروا الكرّة على الكفار ... فما كان الله ليترك المؤمنين حتى يأخذ أعدائهم أخذا وبيلا ..."[3] وفيها نصحهم بالثبات على الحق والإصرار والعزيمة وإبقاء راية الإسلام مرفوعة، دون

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص263-264، مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص269-270.

[2]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص615.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص265، مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص271.

يأس أو وهن حتى يعيدوا الكرّة على أعداء الإسلام مبشرا لهم بأن الله تعالى سينتقم لأعداء الإسلام.

وقعت هذه المعركة بعد أن تحالفت مملكة قشتالة مع مملكة البرتغال من خلال زواج الأميرة القشتالية من ولي عهد البرتغال، كما جدد ملك قشتالة مع ملك ليون اتفاقهما حول غزو الأندلس وقتال المسلمين، فبذلك اتحدت الممالك النصرانية الثلاثة وأصبحت في حالة توافق وسلام، وصار ملك قشتالة جاهزا للانتقام من الهزيمة في الأرك[1].

جمع الخليفة الناصر جيشا كبيرا يقدر بـــ 600 ألف مقاتل، وكان الناصر معجبا بذلك[2] كما قال الناصري: "كان معجبا برأيه، مستبدا بأموره"[3].

التقى المسلمون مع الإفرنج في موقعة العقاب التي خرب بسببها أكثر المغرب، وبعدها استولى الإفرنج على أكثر الأندلس ولم ينجُ من ذلك الجيش الكبير إلّا عدد قليل جدا لم يصل إلى الألف حسبما قيل، وتعد هذه المعركة طامّة كبرى على الأندلس والمغرب معا، وذلك لسوء التخمين والتسيير، وأن رجال الأندلس العارفين بقتال الإفرنج استخفّ بهم الناصر، وقتل بعضهم في موقعة العقاب المشؤومة[4].

[1]- هشام أبو رميله، المرجع السابق، ص276.
[2]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص383.
[3]- الناصري، المصدر السابق، ج2، ص220.
[4]- المقري، المصدر نفسه، ج4، ص383.

ثالثا: الرسائل الدينية

قامت الدولة الموحدية على أساس ديني من الدعوة إلى التوحيد إلى الأمر بالمعروف والنهي بالمنكر هاته المبادئ التي أتى بها محمد بن تومرت وشرع في تطبيقها، تداولها من بعده خلفاء أسرة بني عبد المؤمن ونشرها عبر الرسائل الرسمية لكافة أقطار الدولة.

أ-الدعوة إلى التوحيد:

تعرضت دعوة ابن تومرت إلى المضايقة والمعارضة من قبل الدولة المرابطية هذه الأخيرة كانت حاجزا وعقبة أمام دعوة ابن تومرت لذلك عمل على بعث الرسائل إليهم، ولعل أولها رسالة التوحيد فقد اتهم المرابطين بالكفر واعتبر دمائهم وأموالهم حلالا على الموحدين، لكن الرسالة التي بين أيدينا ،ولعلها أولى رسائله لا تحمل مثل هذا المعنى وإنما الدعوة إلى تقوى الله واتباع السنة كما تعد رسالة تحذير وإنذار، كتب ابن تومرت الرسالة بخط يده ومن إنشائه، ومما جاء فيها: "... إلى القوم الذين استزلّهم الشيطان وغضب عليهم الرحمان، الفئة الباغية، والشرذمة الطاغية اللمتونية. أما بعد، فلقد أمرناكم بما نأمر به أنفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته ... وقد وجب لنا عليهم حقوق بوجوب السنة، فإن أديتموها كنتم في عافية، وإلا فنستعين بالله على قتلكم حتى نمحوا آثاركم ... وكتابنا هذا إليكم إعذار وإنذار ..."[1].

[1]- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ص111.

واصل عبد المؤمن بن علي مسيرة ابن تومرت في دعوته إلى التوحيد، ومنها رسالته إلى محمد بن سعد ابن مرذنيش[1]، كتبت في 16 جمادى الآخرة سنة 548هـ/1154م من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية، إذ قال فيها: "... رأينا أن نخاطبكم بكتابنا هذا أخذا بأمر الله تعالى لرسوله في المضاء إلى سبيله ... وإقامة الحجّة في تبليغ القول وتوصيله، فأجيبوا داعي الله تسعدوا ... واعلموا أنّه لا عزّة إلا بإعزاز الله تعالى فهو ذو العزّة والجلال ... وليس لكم في قبول النصيحة، وابتداء التوبة الصحيحة، والعمل بثبوت الإيمان في هذه العاجلة الفسيحة، إلّا ما تحبّونه في ذات الله تعالى من الأمنة والدّعة ... فنحن لا نريد لكم ولا لسائر من نرجو إنابته، ونستدعي قبوله وإجابته إلّا الصلاح الأعمّ، والنجاح الأتمّ ..."[2]، لم يستجب ابن مرذنيش لرسالة عبد المؤمن والدليل على ذلك الثورة التي قام بها وأدت إلى خروج عبد المؤمن لمحاربته.

ظهر تمرد ابن مرذنيش في الأندلس في أواخر أيام عبد المؤمن فعبر إلى ذلك البلد وقضى على حركات التمرد هناك وسيطر على الوضع فيها ثم عاد إلى المغرب[3].

---

[1]- محمد بن سعد ابن مردنيش: هو أحد الثائرين الذين ظهروا بالأندلس في أعقاب دولة المرابطين ممن لم يترددوا في طلب العون من المسيحيين ضد الموحدين، وقد أنكر بعض الباحثين نسبه في العرب وأرجعوه لأصل إسباني ذاكرين أن جده الأعلى مرذنيش تسميه المراجع النصرانية بالملك لوبو، وقد منحه البابا لقب "صاحب الذكر الحميد"، توفي سنة 567هـ/1172م ينظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص65.

[2]- مؤلف مجهول، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، ج10، ص36.

[3]- حسين مؤنس: **موسوعة تاريخ الأندلس فكر وتاريخ وحضارة وتراث**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م ج2، ص108.

استمرت الفتن في الأندلس التي أثارها محمد بن سعد ابن مرذنيش كبير ثوار شرق الأندلس، فبعد وفاة أمير المؤمنين عبد المؤمن، قام بمواجهته ومحاربته كل من أبو سعيد[1] وأبو حفص من أبناء عبد المؤمن وإخوة يوسف، تمكن الأخوين من إخماد خطر ابن مرذنيش سنة 561هـ/1166م[2].

وفي سنة 564هـ/1169م أوّل يوم من أيام رمضان كتب أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن رسالة من إنشاء الكاتب أبي الحسن عبد الملك بن عياش إلى أمير شرق الأندلس محمد بن سعد ابن مرذنيش يدعوه فيها إلى التوحيد كما ذكّره برسالة والده عبد المؤمن له التي تحمل نفس الدعوة، وأضاف يوسف أنه في حالة رفضه قبول الدعوة عليه أن يتجهّز للحرب لأنه أرسل جيشا من الموحدين بقيادة أبو حفص وأمرهم بأن يكونوا في أتم الاستعداد لهذا الأمر[3].

جاء في رسالته ما يلي: "... إنّا كتبناه إليكم... ونحن نشكر الله تعالى... على ما ظاهر من نعمته... والهداية إلى توحيده والتوحيد إلى الإيمان به... وإنّا... وصل الله توفيقكم بما له علينا من هذه العهدة اللازمة ... ندعوكم برعاية الله إلى هذا الأمر العظيم ... لطريقه الواضح المستقيم ... وقد كان سيدنا أمير المؤمنين ... خاطبكم بهذه الدعوة ... خاطبناكم دعاءً إلى

[1]- أبو سعيد: هو أبو سعيد عثمان ابن عبد المؤمن بن علي، ولاه أبوه سبتة وفي سنة 549هـ/1155م أضاف إليها مالقة والجزيرة الخضراء، رفض الإعتراف بخلافة أخيه يوسف ثم أعلن الطاعة سنة 560هـ/1165م، وقد كان له نشاط عسكري كبير في الأندلس كانت وفاته في سنة 571هـ/1176م، ينظر: ابن القطان، المصدر السابق، ص206.

[2]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ج2، ص108-110.

[3]- مؤلف مجهول، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، ج10، ص142.

الله وإرشادا إليه ... وقد كان ... أبو حفص تحرك في هذه السنة بعساكر الموحدين إلى الجزيرة الأندلسية بنية الجهاد والغزو ... فخاطبناه ... أن يتنكّب ذلك الجانب ... ريثما يصل كتابكم ... فيكون بدار الجواب على حكم ذلك ..."[1].

يبدو أن ابن مرذنيش لم يستجب لدعوة يوسف كما فعل من قبل مع والده، فقد ازدادت الأمور سوءا عندما ثار محمد بن سعد في مدينة بلنسية، وكان غانم ابن مرذنيش وهو زعيم أندلسي عيّنه عبد المؤمن في حياته قائدا لأسطول الموحدين، فاستولى على بلنسية ومرسية[2] وتحالف مع القشتاليين لدعم ثورته، وتوفي عبد المؤمن قبل أن يتمكن من محاربته فازداد خطره في عهد ابنه الخليفة يوسف، فاضطر يوسف إلى عقد محالفة مع القشتاليين لكي يتمكن من محاصرة ابن مرذنيش، وثار محمد بن سعد داعيا إلى تحرير الأندلس من حكم الموحدين فاستولى على غرناطة[3] بمساعدة ابن همشك[4].

---

[1]- مؤلف مجهول، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، ج10، ص142-149.

[2]- مرسية: هي مدينة بالأندلس، وقاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمان بن الحكم، ومرسية على نهر كبير يسقي جميعها كنيل مصر، ولها جامع جليل وحمّامات وأسواق عامرة وهي راخية أكثر الدهر رخيصة الفواكه كثيرة الشجر والأعناب وأصناف الثمر، وبها معادن وفضة غزيرة متّصلة المادة، وكانت تصنع بها البسط الرفيعة الشريفة ولأهلها حذق بصنعتها وتجويدها لا يبلغه غيرهم، ولها حصون وقلاع وقواعد وأقاليم معدودة المثال، ينظر: الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص539-540.

[3]- نجيب زبيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تق: أحمد ابن سودة، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، لبنان، 1995م، ج2، ص349-350.

[4]- ابن همشك: هو إبراهيم بن محمد بن مفرج إسباني الأصل، أسلم جده على يد أحد ملوك بني هود بسرقسطة نشأ خادما لبعض الولاة المغاربة ثم انتقل إلى ملك قشتالة واستقر مع النصارى ثم انصرف إلى بقية المرابطين بعد شفاعة وإظهار توبة، ولما قامت الفتنة بالأندلس عام 539هـ/1145م، عظم شأنه لدرايته وكفايته إلى أن تمكن من الإستيلاء على بعض

فانطلق لمحاربته الخليفة يوسف ولكن الفوز لم يكن حليفه في عدد من المعارك، وهكذا وجد الخليفة يوسف نفسه بين ثورتين في الأندلس، فجمع جيشا كبيرا وزحف للقاء محمد بن سعد ابن مرذنيش فهزمه في معركة الجلاب سنة 559هـ/1164م، وعاجلت المنية غانم ابن مرذنيش فتوفي عام 566هـ/1171م، لكن محمد بن سعد أعلن ثورته مجددا فحاصره الخليفة يوسف في مرسية واستمر الحصار طويلا، في أثنائه مات محمد بن سعد سنة 567هـ/1172م فانتهت ثورته واسترد الخليفة يوسف مرسية وبلنسية، كما استسلم جميع أبناء مرذنيش وبذلك تمت سيطرة الموحدين على الأندلس[1].

ب-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عادة ما يوجه الخلفاء إلى الرعية رسائل تدور حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخاصة وقت الأزمات، ونستهل هذا اللون من الرسائل برسالة الخليفة عبد المؤمن بن علي الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر الداعية إلى وجوب العدل واتباع طريق الحق وهي من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية، كتبت في 16 ربيع الأول سنة 543هـ/1149م، كتبها أثناء زيارة قبر ابن تومرت في تينملل، حيث قال فيها: "... بين العدل والجور حياة العالم

الحصون ومدينة شقورة، ثم وضع يده في يد محمد ابن مرذنيش وزوّجه بنته، ثم فسدت العلاقة بينه وبين صهره، فانخلع للموحدين وأجاز البحر إلى الخليفة يوسف عام 565هـ/1170م فأكرم وفادته وأقرّه بمواضعه، ثم أمره سنة 571هـ/1175م بالانتقال بأهله وولده إلى مكناس إلى أن توفي بها مفلوجا على أسوء حال، ينظر: البيدق، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، ص81.

[1]- نجيب زبيب، المرجع السابق، ج2، ص350.

وهلاكه ... من لا يتقي الله تعالى ولا يخشاه ... يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار، وينتشرون بالقتل بأعراض الناس أقبح الانتشار يستحلون حرمات المسلمين من خير حلّها ... وتالله لو تعين لنا فاعل ذلك وتشخص ... لسارع إليه من أسرع عقابنا ..."[1]، وفيها يهدد الخليفة عبد المؤمن بعض العمال الذين لا يخافون الله ويفرضون سلطتهم على البشر والأموال حسب أهوائهم ضاربين بأحكام الشرع عرض الحائط يبتدعون مظالم فظيعة من قتل للمسلمين ومن استباحة لأعراضهم وأموالهم وضربهم لابتزاز وسرقة أموالهم وتوعد عبد المؤمن هؤلاء بالعقاب[2]، مستشهدا بأدلة وحجج من القرآن الكريم والسنة النبوية، كقوله تعالى: "وَمَنْ يَّكْسِبِ اِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَان اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا"[3].

فصلت الرسالة في الكثير من المظالم المنتشرة والمنافية لمبادئ الدولة الموحدية، وأمر أشياخ الموحدين بأن لا يسمحوا لغيرهم في تسيير شؤون ولاياتهم، ومنع قتل الناس إلّا بعد الحصول على إذن من الخليفة[4]، حيث يقول: "... وعليكم أن تبحثوا بغاية جدكم عن أولئك المسببين لتلك القبائح الساعين في صد ما يرضاه الله تعالى من المصاح ... فرأينا أن ترفعوا إلينا أحكام المذنبين للكبائر ... دون أن تقيموا الحد عليه ... ولا سبيل لكم إلى قتل أحد ...

---

[1]- ابن القطان، المصدر السابق، ص190-193، محمد عنان، المرجع السابق، ج3، ق1، ص553-554.

[2]- حسين أسكان، **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2010م، ص85.

[3]- سورة النساء، الآية 111.

[4]- حسين أسكان، المرجع السابق، ص85.

فعرفونا بجلية أمره ... لينفذ فيه من قبلنا ما يوجبه الحق ويقتضيه ... فإياكم من مخالفة أمرنا ..."[1].

أشار في الرسالة إلى بعض المنكرات الأخرى، كبيع النساء وأصدر تعليمات لتجنب هذه الظاهرة، وأمر بالابتعاد عن الخمر، كما نبّه في رسالته في الأخير على أولئك المسؤولين الذين يأخذون من أموال المخزن بالتعدي عليها والعبث بها، وأمر بعدم التصرف في تلك الأموال إلا بعد استئذانه، كما أمر باتباع وتطبيق جميع التعليمات التي تضمنتها هاته الرسالة[2]، ومن مقتطفاتها: "... يبتاع المرأة ويبيعها دون استبراء... والله الله في البحث على الخمور... فإنها مفتاح الشرور ورأس الكبائر والفجور ... وإن ممن يسعى في نوع من أنواع الفساد ... هؤلاء الراقصين ... يأخذون الناس بالنظر في كلفهم ويلزمونهم في زادهم ... في المخازن وغيرها ... فأمرنا بجميع فصول كتابنا هذا إليكم ولسواكم شامل وفي كافة أقطار الموحدين نافذ عامل..."[3].

علّق ابن عذارى على هذه الرسالة بقوله "أنها جمعت قوانين العدل والفضل والسياسة والرياسة فكانت حجة بأيدي الناس، ومؤمنة لهم من الباس"[4]، وبالفعل شجعت هذه الرسالة

[1]- ابن القطان، المصدر السابق، ص196، محمد عنان، المرجع السابق، ج3، ق1، ص556.

[2]- حسين أسكان، المرجع السابق، ص85.

[3]- ابن القطان، المصدر السابق، ص196-200، محمد عنان، المرجع السابق، ج3، ق1، ص557-558.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص37.

الناس على رفع مظالمهم وشكواهم إلى الخليفة بسبب الأذى الذي لحق بهم من قبل بعض المسؤولين.

كان عبد المؤمن بن علي وفيا لمبادئ محمد بن تومرت، حيث عمل على نشرها وإذاعتها بين الناس، فها هو ذا يسري في نفس خطى معلمه –ابن تومرت– في محاربة المنكر والأمر بالمعروف[1].

بعد الهزيمة في معركة العقاب عرف المغرب الأقصى أزمات متتابعة، وبالخصوص الجهة الشمالية التي أصبحت تعاني من الاضطرابات التي تسببت فيها قبائل بنو مرين منذ انتصارها على جماعة من الموحدين سنة 613هـ/1217م والتي امتدت حتى سنة 617هـ/1221م، وأكثر من ذلك أن الدول الغربية هي المنبع الأساسي للإنتاج الزراعي، فاشتد الحال بسبب غلاء الأسعار ونتيجة لهذه المعاناة والأزمات بالبلاد الغربية والأندلسية وجه الخليفة المستنصر رسالة إلى الأمة تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في 10 ربيع الأول سنة 617هـ/1221م[2].

أول ما احتوته هاته الرسالة التثبت بالدين والعودة إليه ثم التحفيز على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يذكرنا بالرسالة التي بعثها جده عبد المؤمن، فاتبع الخليفة المستنصر نفس السياسة وذكّر الناس بأن الدنيا زائلة لا محالة وأن الآخرة هي دار المستقر والمقام، وحثهم

[1]– صالح بن قربة، **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م، ص67-68.

[2]– مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص348.

على العمل الصالح والمحافظة على الصلاة، تطبيق جميع الشعائر الدينية، توصية الناس بما ينفعهم، إصلاح النفس، إقامة العدل وعدم التعدي، وبين أن هذه أه الضروريات التي يجب الأخذ بها وتنفيذها كما جاء فيها: "... فقد علمتم أن الدين هو الأساس الوثيق ... فجدّدوا الناس به الذكرى وعرّفوهم أن الدنيا مطيّة إلى الدار الأخرى، وحظّوهم على العمل الصالح، واستحفظوا الكافة صلواتهم فإنها الكتاب الموقوف على المؤمنين ... وتتبّعوا شعائر الدين كلها بالإقامة ... وتخولوا الناس على الدوام بالوصايا النافعة ... فليصلح الناس سرائرهم ... ما نأمركم به العدل التام ... وكف الأيدي وقبضها عن التعدي ... وهذا خطاب ... حضضنا فيه على أمور ضرورية ..."[1].

وفي عهد الخليفة المأمون يذكر ابن الخطيب أنه لما تمت بيعة المأمون خاطب جميع من بالأندلس يدعوهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحضّهم على الصلوات، وإيتاء الزكاة والصدقات والنهي عن شرب الخمر والمسكرات، وتشجيعهم على الرعاية[2]، وحسب ابن أبي زرع كتبت هذه الرسالة في سنة 628هـ/1230م ونشرت في جميع بلاد المأمون[3].

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص267-268.

[2]- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج1، ص412-413.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص253.

ومما جاء في الرسالة: "... الحمد لله الذي جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلين يتفرع منهما مصالح الدنيا والدين ... فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وفاءا بالواجب لذلك التمكين ..."[1].

وللمأمون رسالة أخرى هي كذلك أحق أن تدرج في خانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتجلى هاته الرسالة في قرار الخليفة المأمون حول إلغاء رسوم ابن تومرت.

كتب المأمون الرسالة بخط يده وأرسلها إلى كافة بلاده معلنا عن إزالة اسم ابن تومرت من السكة والخطبة، لأنه لما قتل الموحدين أمر بقطع ذكر إمامهم ابن تومرت من الخطبة في جميع البلاد، كما محا اسمه من المخاطبات ومن النقش في السكة وقطع النداء بعد الصلاة والنداء عليها بتصلية الإسلام[2].

بعد استقرار الخليفة المأمون في مراكش بحث في أمر الناقضين لبيعته واستدعاهم إلى مراكش وقتل أعيانهم وقام بتتبع أنصارهم، كما أراد من جهة أخرى أن يحطم سلطة الأشياخ الموحدين معنويا وذلك بإلغاء الشعارات التي وضعها ابن تومرت ضمن مبادئ الدولة الموحدية، وبالخصوص أمر بنزع اسمه من الخطبة والعملة ناكرا لمهدويته وعصمته وبعث بها إلى جميع الجهات التابعة لحكمه[3].

---

[1]- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج1، ص413-414.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص286.

[3]- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص384.

وقال في رسالته: "...ولتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق، وأن لا مهدي إلا عيسى بن مريم وما سمي مهديا إلّا لأنه تكلم في المهد، فتلك بدعة قد أزلناها، والله يعيننا على هذه القلادة التي تقلدناها، وقد أزلنا لفظ العصمة عمن لا تثبت له عصمة، فلذلك أزلنا عنه رسمه فيُمحى ويُسقط ولا يثبت ..."[1].

أشار المأمون في رسالته أن الخليفة المنصور كان سيقوم بنفس الأمر لولا أن وافاه الأجل وأظهر حجته بأن حتى الصحابة لم تكن لهم عصمة فكيف يمكن أنه تكون لها لعصمة –أي لابن تومرت–ط وبيّن أنه على ضلالة هو ومن اتبعه وقد أضل العديد من الناس، وأشهد المأمون الله تعالى على نفسه أنه بريء منه ومن اتبعه، في قوله: "... وقد كان سيدنا المنصور، همّ أن يصدع بما به الآن صدعنا ... فلم يساعده لذلك أمله ولا أجلَه إليه أجلُه، فقدم على ربه بصدق نيّة ... وإذا كانت العصمة لم تثبت للصحابة فما الظن عمن لم يدر بأيّ يد يأخذ كتابه، أفّ لهم، قد ضلّوا وأضلّوا ولذلك ولّوا وذلّوا... اللهمّ اشهد أنّا تبرّأنا منهم تبرؤ أهل الجنة من أهل النار ..."[2].

---

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج5، ص287، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ص164-165، عبد الله كنون، المرجع السابق، ص ص421-422، Javier Albarràn Iruela, De la conversion y expulsion Al Mercenariado : la Ideologia en Torno A los cristianos en las cronicas Almohades, la peninsula Ibérica en Fiempos de las Navas de Tolosa, Madrid, 2014,p90.

[2]– ابن عذارى، المصدر السابق، ص287، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ص165، عبد الله كنون، المرجع السابق، ص422.

لعبت الرسائل السلطانية دورا هاما في فترة الحكم الموحدي، فقد ساهمت في تسيير شؤون الدولة وتنظيم أمورها، وسهلت تواصل بين دول المملكة وبين الدول الغربية، وخير مثال على ذلك المواضيع التي تحملها بين طيّاتها، التي فصلنا في أهم جوانبها السياسية والعسكرية والدينية.

ما ميّز الرسائل الموحدية هو عدم اقتصارها بكشف الحقائق عن الجانب الإيجابي فقط للدولة من دعوة إلى التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن بلوغ التطور والسطوة وتحقيق الانتصارات وتوسيع أقطار الدولة، بل احتوت كذلك على الجانب السلبي للدولة وما تعرضت له من ثورات وأزمات، وفتن وهزائم، وسوء تسيير من قبل الخلفاء، فشلّت حركة الدولة الموحدية وضعفت قوتها وأصبحت طعما لأعدائها، وهذا ما يدل على أن الرسائل السلطانية كانت شاملة في موضوعاتها بكل ما يتعلق ويخص الدولة الموحدية.

خاتمة

لعب خلفاء بنو عبد المؤمن دورا بارزا في تحقيق عدة إنجازات جديرة بالذكر بلغت درجة الرقي والتطور، ولعل خير مثال على ذلك هو فترة حكم الموحدين التي بلغت قرن ونصف قرن من الزمن.

ومن خلال دراسة الرسائل السلطانية لهذه الدولة تعرفنا على ما عاشه الموحدون من أحداث ووقائع سواءا في وقت الاستقرار والأمن أو في وقت الأزمات والثورات.

تناولت الرسائل السلطانية الموحدية مختلف المواضيع، اتصفت هذه الرسائل بالدقة في التعبير والتبليغ، تميزت كتابتها عن باقي الكتابات بأسلوب خاص يتصف بالإتقان، كيف لا وهي صادرة عن السلطان بحد ذاته.

حققت الدولة ازدهارا واسعا في مجال العلم والأدب والثقافة نتيجة اعتناء الخلفاء بهذا المجال، ولاهتمامهم بالرسائل كانوا يختارون الكتّاب بأنفسهم، من البلغاء والأكفاء، ومن كبار الأدباء وحتى الشعراء، يستلمون مسؤولية الكتابة في كل مهام الدولة، فكانوا على اطلاع دائم بما يجري في السلطة.

ركّزت الكتابة في عهد الموحدين على الجانب العسكري رغم تنوعها وذلك منذ بداية الصراع المرابطي الموحدي الذي تحول من صراع ديني سياسي إلى صراع عسكري، لتنطلق العمليات العسكرية محققة انتصارات وفتوحات، وهذا ما يدل على اهتمام الموحدين بالكتابة لكثرة الوقائع والأحداث المهمة في تاريخ دولتهم.

استطاع محمد بن تومرت أن يدخل للتاريخ بفكرته الإصلاحية الدينية، ليحقق مهدويته وعصمته بحكمة وحنكة، وقد نجح في ذلك ليوسع من نطاقها فيما بعد بإضافة خطط ونظم سياسية تمكن من الوصول بها إلى السلطة، وحتى يضيف صفة الشرعية للحكم اتبع أسلوب البيعة حاول فيها الاقتداء بالخلفاء الراشدين لكن بمجيئ عبد المؤمن خالف معلمه وقام بتحويل الحكم إلى نظام وراثي، وهو نقيض ما دعا إليه ابن تومرت وهذا ما أدى الى التنافس بين الخلفاء حول الحكم وما ساعد في انتشار الفتن والاضطرابات وعدم الاستقرار داخل البلاد.

بقيت مهدوية وعصمة ابن تومرت معترفا بها رغم تغيير عبد المؤمن لنظام الحكم، ولم يقم بإلغائها من الخطب والرسائل، إلى أن جاء عهد المأمون وألغاها، وحتى وإن أزالها لأسباب خاصة أو سياسية إلا أنه قام بأمر يشكر عليه، يكفي أنه أزال ما كان يوقع الناس في الضلال.

دعا الخلفاء الموحدون إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بداية من دعوة ابن تومرت والتي جسّدها الخليفة عبد المؤمن في عدة رسائل، منها الرسالة التي بيّن فيها ما يقوم به بعض المسؤولين من استبداد للناس واستغلالهم والسطوة على أموالهم، سار على نهجه عدة خلفاء كابنه يوسف وحفيده الناصر، خاصة وقت الأزمات، فالطبقة الحاكمة تعيش في رخاء وثراء بينما الطبقة الكادحة المسمّاة بالرعية تعاني من الإهمال، ووقت الأزمات عليهم أسوء وأمرّ، مما جعلهم يشتكون من تلك الأوضاع.

لقد ساعد الاقتصاد الدولة الموحدية في تحسين الحياة الاجتماعية لرعيتها، وعلى الرغم من عدم تركيزنا على الجنب الاقتصادي والاكتفاء بذكر وقت الأزمات، إلّا أنّ الدولة الموحدية قد شهدت كذلك ازدهارا اقتصاديا كبيرا، خاصة في عهد الخلفاء الكبار أصحاب الهمة العالية الذين تحملوا مسؤولية الرعية، والتعمير، والدفاع عن دولتهم، فانتعشت بذلك الحياة الاقتصادية لتنعكس إيجابا في تحسين الأوضاع المعيشية للسكان.

بعد التمعن في الرسائل الموحدية اتضح لنا أن دولة الموحدين اتبعت استراتيجية محددة داخل الدولة في تعاملها مع الثورات القائمة من قبل المتمردين، أولا يوجهون لغة سياسية لتسهل عملية التعرف على المتمرّدين ثم يثبتوا ويقيموا عليهم الحجة، ليتجهوا بعدها إلى استخدام الأسلوب العسكري.

أمّا بخصوص علاقة الموحدين بالدول الغربية تختلف من حين لآخر فتارة يكون النصر حليفها وتارة أخرى تكون الهزيمة مصيرها، فاضطرت إلى توقيع الهدن مع النصارى، خاصة بعد أن وصلت الدولة الموحدية إلى أيامها الأخيرة من الضعف والعجز والوهن بعد معركة العقاب والتي تعد من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى زوال الدولة الموحدية.

أثبتت الدراسة أن وقعة العقاب كانت نتائجها مأساوية على الأندلس والمغرب معا، ورغم قيام العديد من الدول على أنقاض الدولة الموحدية إلّا أنها لم تصل إلى ما وصل إليه الموحدون من ملك وسعة وقوة وسطوة.

وفي الأخير ما استخرج من الرسائل الموحدية ما هو إلا جزء من فيض، وهي تحتاج إلى العديد من الدراسات للاطلاع والتوسع أكثر نحو فهم مضامينها العميقة.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة الدولة الموحدية[1]

[1]- شوقي أبو خليل، **أطلس التاريخ العربي الإسلامي**، ط1، دار الفكر، سورية، 2005م، ص79.

الملحق رقم 02: مخطط الخلفاء الموحدين[1]

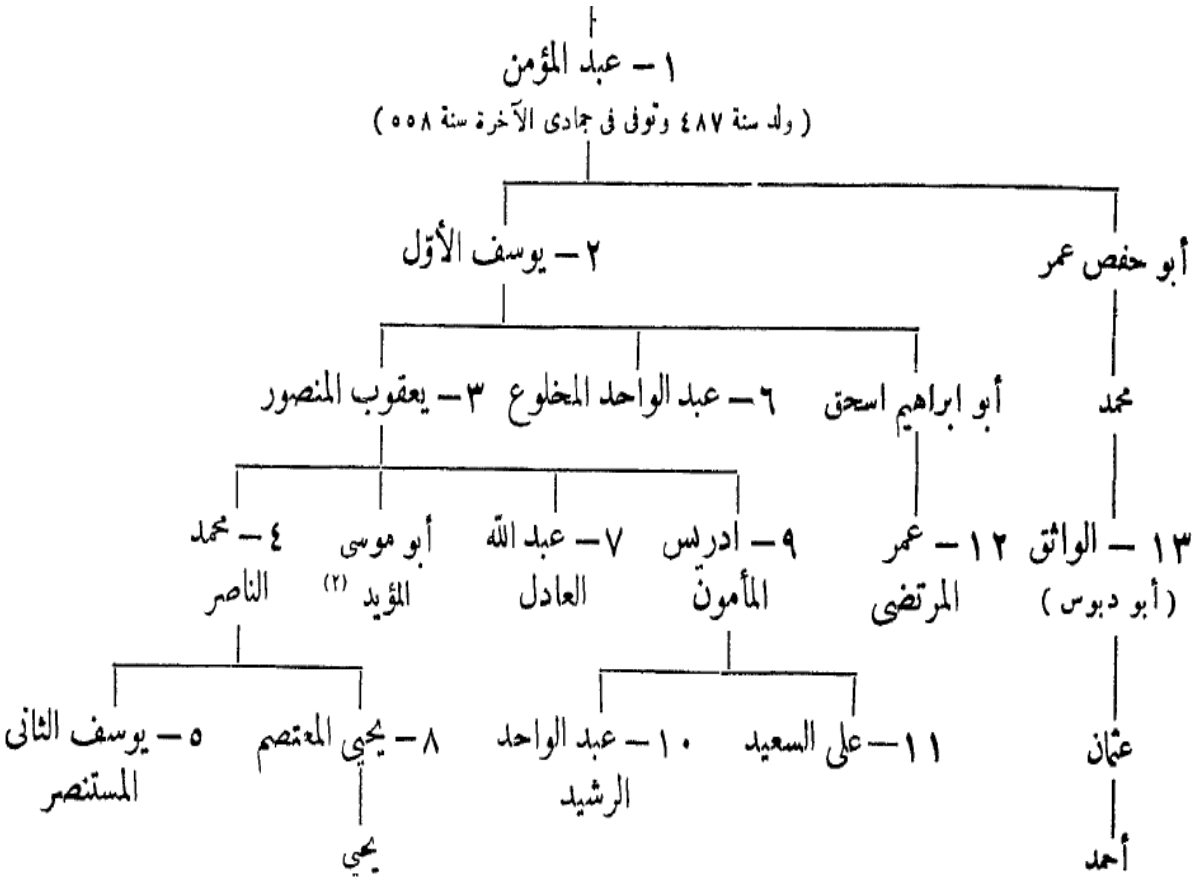

[1]– زامباور، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، أخرجه: زكي محمد حسن، حسن أحمد محمود تر: سيدة إسماعيل كاشف، حافظ أحمد حمدي وآخرون، دار الرائد العربي، لبنان، 1980م، ص115.

الملحق رقم 03: العلامة الموحدية[1]

«الرسالة المشهورة»

كثر الحديث عن هذه الرسالة التي تعتبر بمثابة دستور دأب الخلفاء على ترديده وهي في الواقع نموذجٌ لما كانت عليه «الرسائل البرنامج» ـ كما أسميها ـ مما يزود به الخلفاء أمراءهم على الأقطار...

وقد حررت هذه الرسالة في الحضرة العليّة (تينملّل) جنوب المغرب بتاريخ 16 ربيع الأوّل 543 (4 غشت 1148) وهي الرسالة التي جعل عليها الخليفة الموحدي العلامَة بخطّ يده هكذا:

وتتضمن التحذير من المخالفات وترفع شعار المساواة والعدل بين الناس، وتحرم احتكار المراسي واستغلال ظروف المسافرين وتجعل حدّاً لتلاعب البعض بأمر الأسرى، ثم تتخلّص لتحديد واجبات موزّعي البريد (الرقّاصين)، ما لهم وما عليهم...

«... وتخيّروا لرسائلكم إرسالاً، وانتقوا من أهل المقدرة على ذلك والثقة رجالاً، وادفعوا إليهم زاداً يقوم بهم في المجيء والإنصراف ويقطع شأنهم عن التكليف والإلحاف، وارسموا لهم أيّاماً معروفة العدد، معلومة الأمد، لينتهوا إليها إلى مواقف رسائلهم، ويوزّعوها على مسافات مراحلهم، وحذّروهم من تكليف أحدٍ من الناس ولو مثقال ذرة، وأوعدوا من تسبب منهم بمساءة أو مضرة...».

[1]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص230.

الملحق رقم 04: رسالة محمد بن تومرت إلى المرابطين[1]

نص الرسالة :

الى القوم الذين استزلّهم الشيطان، وغضب عليهم الرحمن، الفئة الباغية، والشرذمة الطاغية اللمتونية(2). اما بعد، فقد امرناكم بما نأمر به انفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته، وان الدنيا مخلوقة للفنا(3) والجنة لمن اتقى، والعذاب لمن عصى، وقد وجبت لنا(4) عليكم حقوق بوجوب السنة(5)، فان اديتموها كنتم في عافية، والا فنستعين بالله على قتلكم حتى نمحو آثاركم، ونكدّر(ونهدم)(6) دياركم، (و)(7) حتى يرجع العامر خاليا، والجديد باليا(8) وكتابنا (هذا) إليكم إعذار وانذار(9)، وقد اعذر من انذر، والسلام عليكم سلام السنة لاسلام الرضى(10).

[1]- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، ص43.

الملحق رقم 05: خريطة ولايات الدولة الموحدية في طور الازدهار[1]

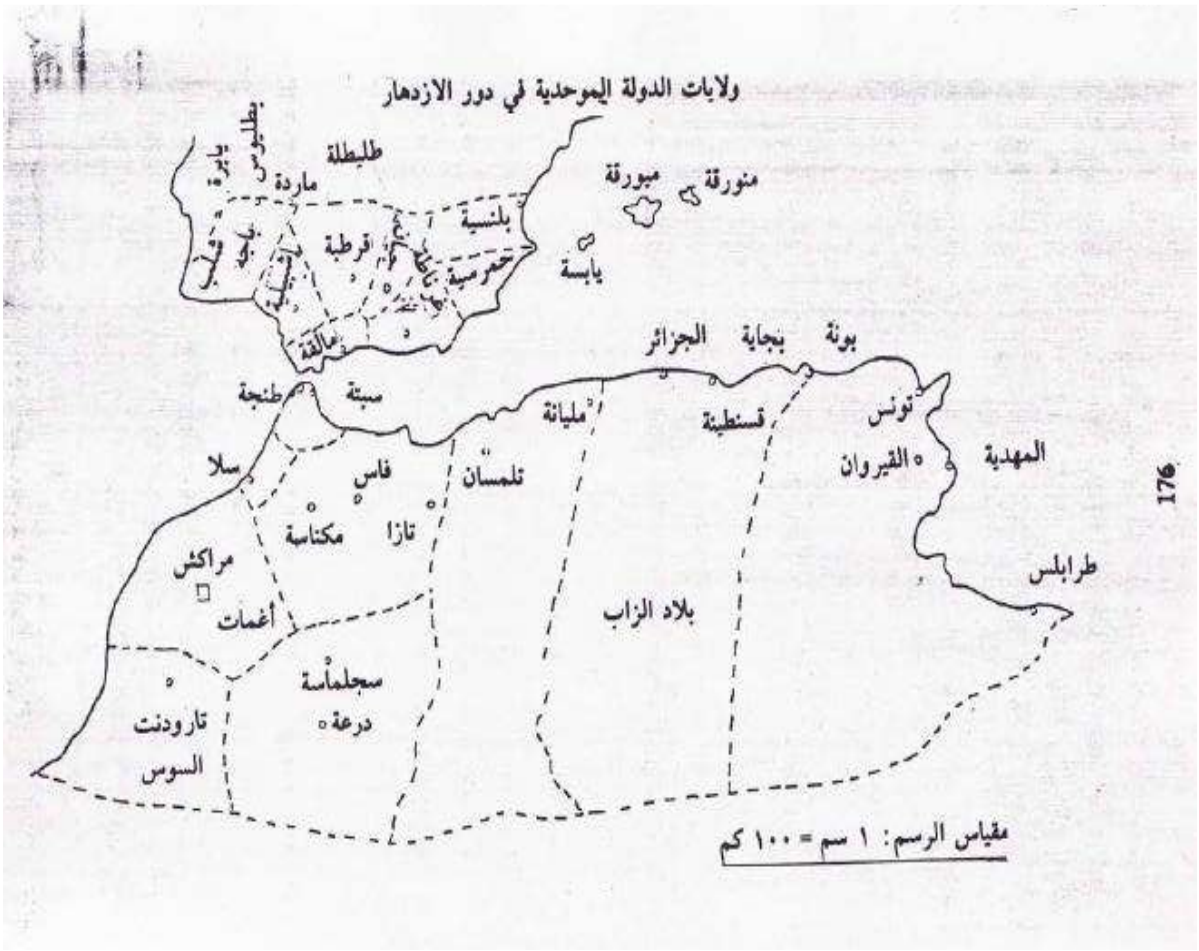

[1]- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص176.

الملحق رقم 06: خريطة مواقع معركة الأرك[1]

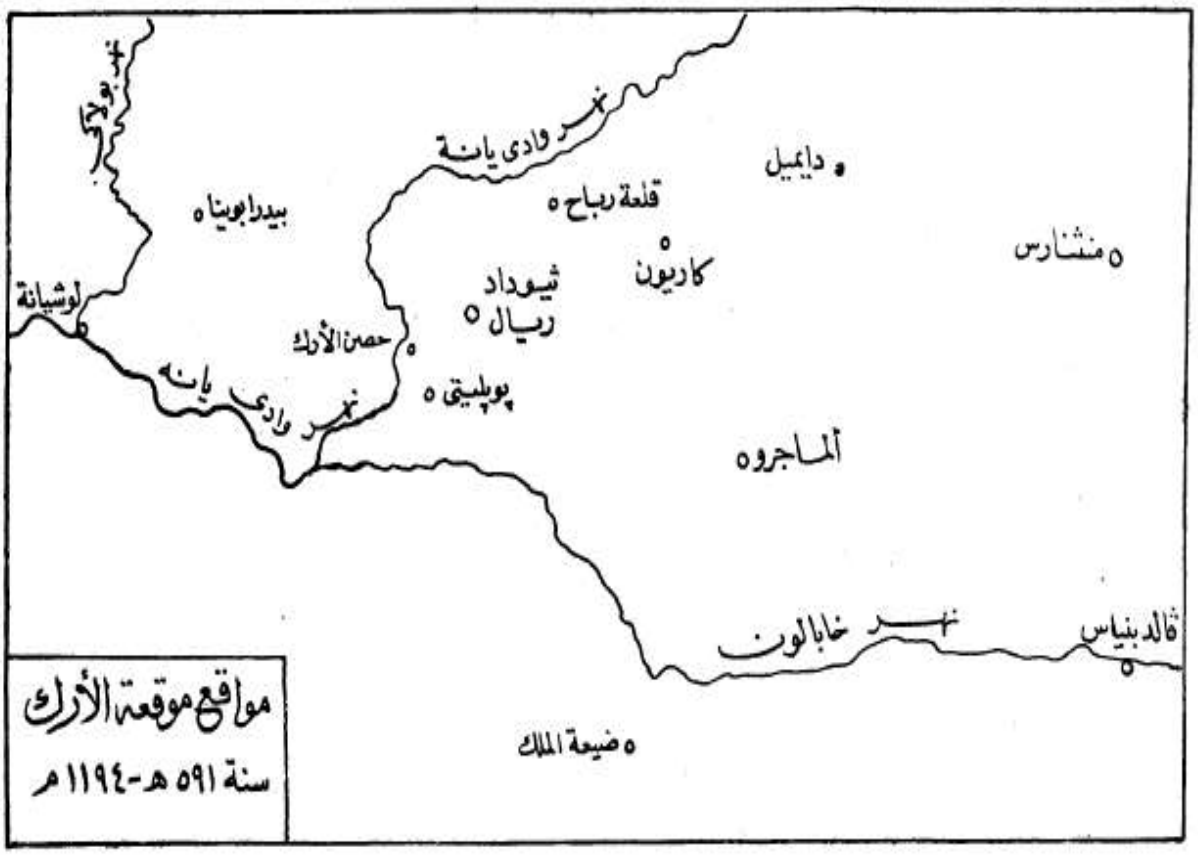

[1]- محمد عبد عنان، المرجع السابق، ج3، ق2، ص201.

الملحق رقم 07: خريطة مواقع معركة العقاب[1]

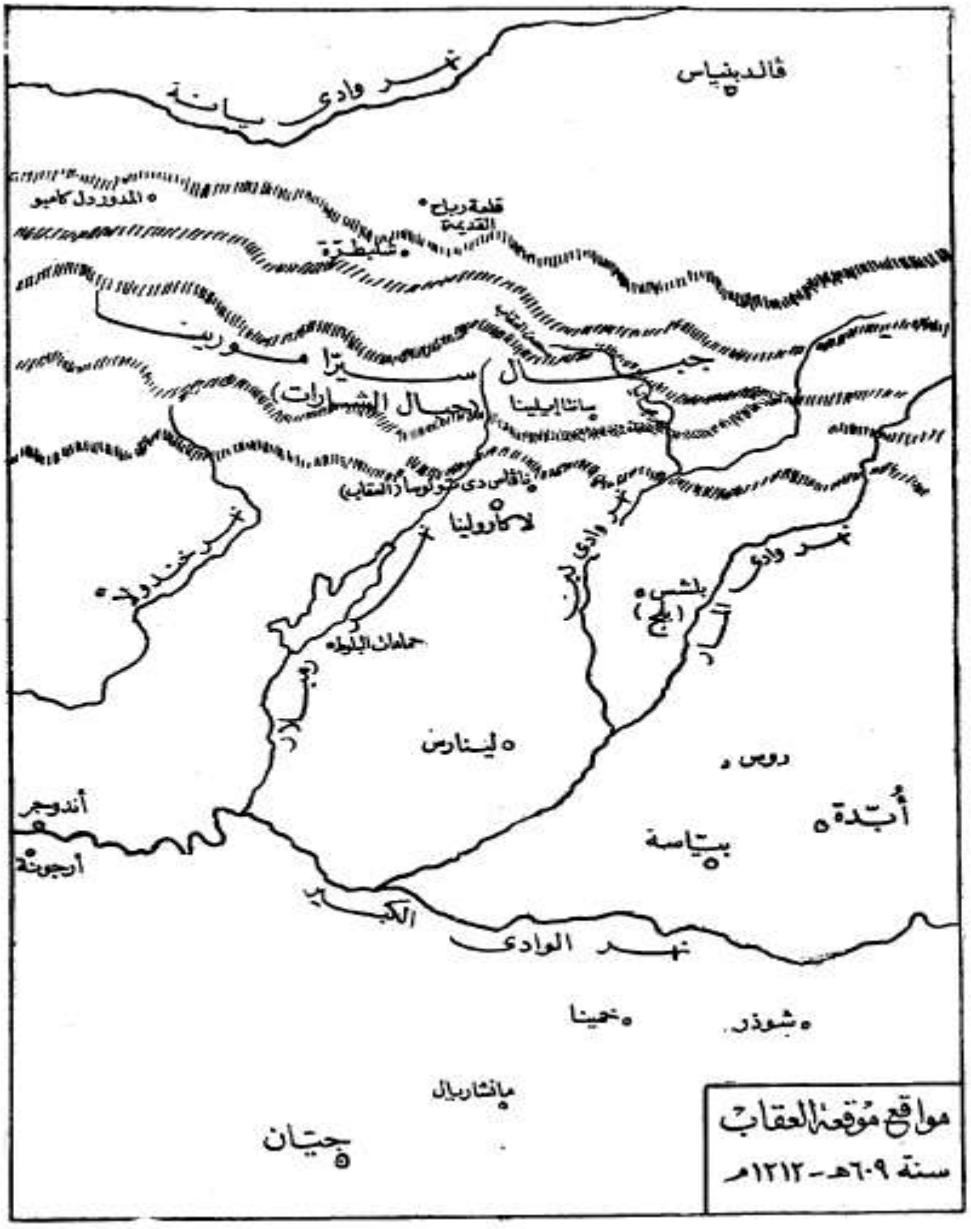

[1]- محمد عبد عنان، المرجع السابق، ج3، ق2، ص299.

الملحق رقم 08: رسالة الخليفة المأمون حول إلغاء رسوم ابن تومرت[1]

نـص الرسالـة :

من عبد الله إدريس أمير المومنين ابن أمير المومنين (ابن أمير المومنين)[2]، إلى الطلبة (والأشراف)[3] والأعيان والكافة ومن معهم من المومنين والمسلمين[4]، أوزعهم الله شكر أنعمه[5] الجسام، ولا أعدمهم[6] طلاقة أوجُه الأيام الوسام.

وإنا[7] كتبناه إليكم ــ كتب الله لكم[8] عملاً منقاداً، وسعداً وقّاداً وخاطراً سليماً، لايزال على الطاعة مُقيماً ــ من (حضرة)[9] مراكش ــ كلأها الله (تعالى)[10] ــ، وللحق لسان ساطع[11]، وحسام قاطع[12]، وقضاء لا يُردّ، وباب لا يُسدّ، وظِلال على الآفاق، (تمحو النفاق.

وبعد)[13]، فالذي[14] نوصيكم به تقوى الله (العظيم)[15] والاستعانة (به)[16] والتوكل عليه، ولْتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق، وأن لا مهدي إلا عيسى بن مريم (روح الله)[17]، وما سمي مهديا إلا (لأنه)[18] تكلم في المهد[19] ؛ فتلك[20] بدعة قد أزلناها، والله يعيننا على (هذه)[21] القلادة التي تقلدناها، وقد أزلنا لفظ[22] العصمة عمن لا تثبت (له)[23] عصمة، فلذلك[24] أزلنا عنه رسمه، فيُمحى ويُسقط ولا يثبت[25] ؛ وقد كان سيدنا المنصور (رضي الله عنه)[26] همّ أن يصدع بما به الآن صَدعنا، وأن يرقع للأمة الخرق الذي رقعنا[27]، فلم يساعده لذلك أمله، ولا أجّله إليه أجلُه[28]، فقدم على ربه بصدق نيّة، وخالص طوية[29] ؛ وإذا كانت العصمة لم تثبت (عند العلماء)[30] للصحابة[31]، فما الظّنّ بمن لم يَدرِ بأيِّ يدٍ يأخذ كتابه ؛ أُفٌّ لهم[32]، قد ضلّوا وأضَلُّوا، ولذلك وَلَّوا وذَلُّوا[33]، ما تكون لهم الحُجّة على تلك المَحجة[34] ؛ اللّهم اشهد، (اللهم اشهد)[35] أنا (قد)[36] تَبرأنّا منهم تبرؤ[37] أهل الجنة من أهل النار، ونعوذ بك (يا جبّار)[38] من فعلهم[39] الرثيث، وأمرهم الخبيث، إنهم[40] في المعتقد (من الكفار)[41]، وإنا (نقول)[42] فيهم (كما قال نبيك[43] عليه السلام)[44] : «ربِّ لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين دَيّارا»[45]، والسلام (على من اتبع الهدى واستقام)[46].

[1]- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، ج1، 384.

قائمة

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم (رواية حفص عن نافع)

المصادر:

- ابن أبي زرع (أبي الحسن علي)، ت 726هـ/1326م، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

- (ـــــ، ـــــ)، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور، الرباط، 1972م.

- ابن الآبار (أبي عبد الله محمد)، ت 658هـ/1260م، **إعتاب الكتّاب**، تح: صالح الأشتر ط1، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961م.

-(ـــــ، ـــــ)، **التكملة لكتاب الصلة**، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995م، ج3.

-(ـــــ، ـــــ)، **الحلّة السّيراء**، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج2.

- (ـــــ، ـــــ)، **تحفة القادم**، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986م.

- ابن الأثير (أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) ت 630هـ/1233م، **الكامل في التاريخ**، راجعه: محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م، مج9.

-(ـــــ،ـــــ)، **المفتاح المنشا لحديقة الإنشا**، تح: عبد الواحد حسن الشيخ، ط1، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، 1999م.

- (ـــــ،ـــــ)، **الوشي المرقوم في حلّ المنظوم**، تح: يحيى عبد العزيز، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2004م.

- ابن الأحمر (أبي الوليد إسماعيل)، ت 807هـ/1404م، **أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظميني وإياه الزمان**، تح: محمد رضوان الداية، ط2 مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م.

- ابن الجزري (شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي الدمشقي الشافعي)، ت 833هـ/1429م، **غاية النهاية في طبقات القرّاء**، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2006م ج1.

- ابن الدريهم (أبي الحسن علي)، ت 762هـ/1361م، **منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب**، تح: سيد كسروي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002م.

- ابن الشمّاع (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، ت 861هـ/1457م، **الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر بن محمد المعموري، دار العربية للكتاب، سكرة، 1984م.

- ابن العماد (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكريّ الحنبلي الدمشقي) ت 1089هـ/1678م، **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1988م، مج6.

- ابن القاضي (أحمد المكناسي)، ت 1025هـ/1616م، **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، 1973م.

- ابن القطان (أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي)، حي سنة 650هـ/1252م، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي مصر، 1990م.

- ابن القنفذ (أبو العباس أحمد بن الخطيب القسنطيني)، ت 810هـ/1407م، **الفارسيّة في مبادئ الدولة الحفصية**، تح: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر الاسكندرية، 1968م.

- ابن بسام الشنتريني (أبي الحسن علي)، ت 542هـ/1147م، **الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة** تح: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، 1997م، مج 1.

- ابن حوقل (أبي القاسم النصيبي)، ت 367هـ/978م، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان 1992م.

- ابن خاقان، (أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي)، ت 529هـ/1134م **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، تح: حسين يوسف ظريوش، ط1، مكتبة المنار، الأردن، 1989م.

- ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد)، ت 808هـ/1406م، **مقدمة ابن خلدون**، تح: علي عبد الواحد وافي، ط7، دار النهضة، مصر، 2004م، ج2.

- (ـــــ،ـــــ)، **تاريخ ابن خلدون (المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)**، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2000م ج1، ج6.

- ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، ت 681هـ/1282م، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1977م، مج5، مج7.

- ابن سعيد المغربي (أبي الحسن علي بن موسى)، ت 685هـ/1286م، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970م.

-(ـــــ،ـــــ)، **إختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي**، تح: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1959م.

- (ـــــ،ـــــ)، **رايات المبّرزين وغايات المميّزين**، تح: محمـــد رضوان الداية، ط1، دار طلاس، دمشق، 1987م.

- ابن غازي (أبي عبد الله بن أحمد بن محمد العثماني المكناسي)، ت 919هـ/1513م، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تح: عطا أبورية، سلطان بن مليح الأسمري، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007م.

- ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر)، ت 774هـ/1373م، **البداية والنهاية**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، مصر، 1998م، ج17.

- ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري)، ت 711هـ/1311م **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، مج4، مج8.

- أبي جعفر النحاس (أحمد بن محمد بن إسماعيل)، ت 338هـ/949م، **صناعة الكتّاب**، تح: بدر أحمد ضيف، ط1، دار العلوم العربية، لبنان، 1990م.

- أبي عبيد البكري، ت 478هـ/1113م، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1857م.

- الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني)، ت 560هـ/1165م، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م مج1.

- البيدق (أبي بكر بن علي الصنهاجي)، ت 559هـ/1164م، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور، الرباط، 1971م.

- (ـــــ،ـــــ)، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، 1971م.

- الجهشياري (أبي عبد الله محمـــد بن عبدوس)، ت 331هـ/942م، **كتاب الوزراء والكتّاب** دار الفكر الحديث، لبنان، 1988م.

- الحميري (محمد بن عبد المنعم)، ت 900هـ/1494م، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تعليق: لافي بروفنصال، ط2، دار الجيل، لبنان 1988م.

- (ـــــ،ـــــ)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت 1984م.

- الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان)، ت 748هـ/1347م، **المستملح من كتاب التكملة**، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م.

- الزركشي (أبي عبد الله محمـــد بن إبراهيم)، ت 883هـ/1478م، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمـــد ماضود ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

- السمللالي (العباس بن إبراهيم)، ت 1378هـ/1958م، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه: عبد الوهاب ابن منصور، ط2 المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ج8.

- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)، ت 911هـ/1505م، **تاريخ الخلفاء**، ط1، دار ابن حزم، لبنان 2003م.

- الصولي (أبي بكر محمـــد بن يحيى)، ت 335هـ/946م، **أدب الكتاب**، المكتبة العربية، بغداد 1923م.

- الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير)، ت 310هـــ/923م، **تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، ذخائر العرب، دار المعارف، مصر، 1119م، ج7.

- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله)، ت 714هـ/1314م، **عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979م.

- القلقشندي (أبو العباس أحمد)، ت 821هـ/1418م، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، دار الكتب المصرية القاهرة، 1922م، ج1، ج5، ج6، ج11.

- الكلاعي (أبي القاسم محمـــد بن عبد الغفور)، ت 587هـ/1191م، **إحكام صنعة الكلام** تح: محمـــد رضوان الدّاية، دار الثقافة، لبنان، 1966م.

- الماوردي (أبي الحسن علي)، ت 450هـ/1058م، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** تح: أحمد مبارك البغدادي، ط1، دار ابن قتيبة، الكويت 1989م.

- المراكشي ابن عبد الملك (أبي عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي)، ت 703هـ/1303م، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: إحسان عباس محمد بن شريفة، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، مج3، مج5.

- المراكشي ابن عذاري، ت 695هـ/1295م، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، لبنان، 1983م، ج4، ج5.

- المطرزي (أبو الفتح ناصر الدين)، ت 610هـ/1213م، **المُغرب في ترتيب المعرب**، تح: محمود فاخوري، ط1، مكتبة أسامة بن زيد، سوريا، 1979م، ج1.

- المقري (أحمد بن محمـــد التلمساني)، ت 1041هـ/1632م، **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، مج1، مج5.

- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، ت 1315هـ/1897م، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري، محمـــد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ج2.

- النّويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، ت 733هـ/1333م، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: علي بوملحم، دار الكتب العلمية، لبنان، ج28.

- حسن الوزان (بن محمد الفاسي)، ت 956هـ/1549م، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ج1.

- شهاب الدين الحموي (أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي)، ت 626هـ/1228م، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م، مج1، مج3، مج4.

- عبد الملك بن صاحب الصلاة، ت 594هـ/1198م، **المنّ بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تح: عبد الهادي التازي، ط3 دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م.

- عبد الواحد المراكشي، ت 647هـ/1250م، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1963م.

- (ـــــ،ـــــ)، **وثائق المرابطين والموحدين**، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية الظاهر، 1997م.

- علي الجزنائي، ت 749هـ/1349م، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تح: عبد الوهاب ابن المنصور، ط2، الرباط، 1991م.

- قدامة بن جعفر، ت 337هـ/949م، **الخراج وصناعة الكتابة**، تح: محمـــد حسين الزبيدي دار الرشيد للنشر، العراق، 1981م.

- لسان الدين بن الخطيب، ت 776هـ/1375م، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمـــد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م، مج1.

- (ـــــ،ـــــ)، **تاريخ المغرب العربي الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تح: أحمد مختار العبادي، محمـــد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1964م.

- محمـــد بن تومرت، ت 524هـ/1130م، **أعزّ ما يطلب**، تح: عمار طالبي، وزارة الثقافة الجزائر، 2007م.

- محمد مخلوف (بن محمد بن عمر بن قاسم)، ت 1360هـ/1941م، **شجرة النّور الزكية في طبقات المالكية**، تعليق: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م، ج1.

- محمود مقديش، ت 1228هـ/1813م، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواري، محمّـــد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، مج1.

- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكّار، عبد القادر زمامة ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.

-مؤلف مجهول، حي سنة 587هـ/1191م، **الاستبصار في عجائب الأبصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، تح: سعد زغلول عبد الحميد دار الشؤون الثقافية العامة، العراق 1985م.

- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، تح: أحمد عزاوري، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2001م، ج1، ج2.

- مؤلف مجهول، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، إصدار: لافي بروفانصال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، 1941م، ج10.

المراجع:

- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م، ج1.

- أحمد الاسكندري ومصطفى عناني، **الوسيط في الأدب العربي وتاريخه**، ط1، القاهرة، 1919م.

- جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، راجعه: شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة 1894م، ج1.

- حسن جلاب، **الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب**، ط3، مراكش، 1995م.

- حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ط1، دار العلوم، القاهرة، 1980م.

- حسين أسكان، **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط 2010م.

- حسين سيد مراد، **المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين (454-668هـ/1062-1269م)**، دار السعادة، القاهرة، 1994م.

- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مراجعة: عادل أبو المعاطي، محمد دياب، ط5 دار الرشاد، القاهرة، 2000م.

- حسين نضار، **نشأة الكتابة الفنّية في الأدب العربي**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2002م.

- راغب السرجاني، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع القاهرة، 2011م.

- روجر لي تورنو، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م.

- زامباور، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، أخرجه: زكي محمد حسن، حسن أحمد محمود، تر: سيدة إسماعيل كاشف، حافظ أحمد حمدي وآخرون، دار الرائد العربي، لبنان، 1980م.

- زريف مرزوق المعايطة، **نشأة الدواوين وتطورها في صدر الإسلام**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، 2000م.

- شوقي أبو خليل، **أطلس التاريخ العربي الإسلامي**، ط1، دار الفكر، سورية، 2005م.

- صالح بن قربة، **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1991م.

- عبد الله كنون، **النّبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط2، طنجة، 1960م، ج1.

- عبد المجيد النّجار، **المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1983م.

- عبد المجيد النجار، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس هجري**، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1995م.

- عز الدين عمر موسى، **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1991م.

- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة 1984م.

- فايز عبد النبي القيسي، **أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري**، ط1، دار البشير، الأردن، 1989م.

- محمد المنوني، **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**، ط2، دار المغرب، الرباط 1977م.

- محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس – العصر الثالث – عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس – القسم الثاني – عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م.

- محمـــد فروخ، **تاريخ الأدب العربي –الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية–**، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م، ج1.

- محمـــد نبيه حجاب، **بلاغة الكتّاب في العصر العباسي –دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب–**، ط2، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، 1986م.

- مصطفى بنسباع، **السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين**، تق: محمد بنعبود، ط1، مطابع الشيوخ، تطوان، 1999م.

- ناظم رشيد، **الأدب العربي في العصر العباسي**، دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، 1989م.

- هشام أبو رميله، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ط1 دار الفرقان، نابلس، 1984م.

- يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، تر: محمد عبد الله عنان، تق: سليمان العطار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م، ج2.

المجلات والدوريات:

- بغداد غربي، **أضواء على خطة الكتابة على عهد الموحدين**، المجلة الجزائرية للمخطوطات العدد: 12، شلف، جانفي 2015م.

- بغداد غربي، **الكتابات الرسمية عند الموحدين أنواعها، مراسيمها، أهميتها التاريخية**، المجلة الخلدونية، العدد 8، جامعة الشلف، ديسمبر 2015م.

- عاطف منصور رمضان، **نقود الثوار والخارجين في نهاية عصر الموحدين بالمغرب والأندلس (625-668هـ/1228-1269م)**، حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة، العدد: 12 2002م.

- نسرين طاهر ملك، **النثر الجاهلي والإسلامي والأموي-دراسة تحليلية-**، مجلة ايكتا ايسلاميكا، العدد: 1 إسلام آباد، جانفي 2014م.

الموسوعات:

- حسين مؤنس، **موسوعة تاريخ الأندلس فكر وتاريخ وحضارة وتراث**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م، ج2.

- نجيب زبيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تق: أحمد ابن سودة، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، لبنان، 1995م، ج2.

الرسائل الجامعية:

- بن غوتي خيرة، عبد اللاوي فتيحة، **فن الترسل في العهد الرستمي**، مذكرة ماستر في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2013-2014م.

- رندا حسين دبوس، **الرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني (232-334هـ) -دراسة في المضامين والأساليب-**، مذكرة ماجيستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعية الأردنية، 2009م.

- سامية جباري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس من فتح الأندلس إلى سقوط غرناطة (92هـ-897هـ)**.

- شرقي نوارة، **الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524-667هـ/1126-1268م)**، مذكرة ماجيستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008م.

- طيطح نصيرة، **الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس (316-422هـ/929-1031م)**، مذكرة ماجيستير في التاريخ الوسيط الإسلامي، معهد التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2008-2009م.

- عبد الحليم حسين الهروط، **الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر**، مذكرة ماجيستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1994م.

- عبد الرحمن عبان، **الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم على عهد الموحدين دراسة في موضوعاته وبنيته ابن معطي نموذجا**، مذكرة ماجيستير في الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2007-2008م.

- محمـــد بوشريط، **ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي (300-460هـ/912-1067م)**، دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2011-2012م.

- محمـــد عبد الرحمان خياري، **أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين** رسالة ماجيستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1991م.

- محمـــد عبد الرحمان خياري، **رسائل موحدية جمعا وتحقيقا ودراسة**، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعية الأردنية، 1996م.

- مزوزية حداد، **سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية (515-668هـ/1121-1269م)**، مذكرة ماجيستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012-2013م.

- ناصر بلميلود، كريم دمدوم، **الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين 541-667هـ/1126-1268م**، مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2014-2015م.

المراجع الأجنبية:

- E. Fagnan, Histoire Des Almohades D'Abd el-wah'id Merrakechi, Alger, Abolphe Jourdan, Libraire-éditeur, 1893.

- Javier Albarràn Iruela, De la conversion y expulsion Al Mercenariado : la Ideologia en Torno A los cristianos en las cronicas Almohades, la peninsula Ibérica en Fiempos de las Navas de Tolosa, Madrid, 2014.

- Rachid Bourouiba, Ibn Tumart, Société Nationale d'edition et de Diffusion, Alger, 1982.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وتقدير

مقدمة .....أ- ح

مدخل 10

الفصل الأول: الدراسة الفنية للرسائل السلطانية في عهد الموحدين

أولا: التطور التاريخي لديوان الرسائل 23

ثانيا: الرسائل السلطانية تعريفها، أهميتها، مميزاتها وخصائصها 34

ثالثا: مشاهير كتّاب الرسائل السلطانية الموحدية 47

الفصل الثاني: موضوعات الرسائل السلطانية الموحدية

أولا: الرسائل السياسية 65

ثانيا: الرسائل العسكرية 79

ثالثا: الرسائل الدينية 93

خاتمة 107

الملاحق 112

قائمة البيبليوغرافيا 121

فهرس الموضوعات 141

ملخص:

تميّزت الدولة الموحدية عن باقي الدول الإسلامية القائمة بالمغرب الإسلامي بسياسة جديدة مكّنتها من بسط نفوذها وتوسيع نطاق حكمها وسيطرتها، وكانت الوسيلة التي تمكننا من اكتشاف دولة الموحدين هي الاطلاع على رسائلها السلطانية، هاته الأخيرة قبل أن تفيدنا قد أفادت الدولة نفسها في تنظيم أمورها وفي علاقاتها الداخلية والخارجية وفي العديد من المهام التي أكسبتها أهمية بالغة لدى الخلفاء الموحدين وأعطت مرتبة خاصة وعالية لكتّابها الذين تفنّنوا في كتابة هذه الرسائل بأساليب بلاغية متقنة ومميزة.

Résumé :

Les almohades se sont distingués des autres états islamiques du Maghreb par une nouvelle politique qui les a aidés à étaler leur puissance et leur autorité sur toute la région. C'est grâce aux correspondances impériales que nous avons pu recueillir toutes ces informations sur eux. Ces correspondances n'étaient pas bénéfiques que pour nous seulement mais pour l'état aussi, c'était un moyen d'organiser ses affaires, de gérer les relations internes et externes et de nombreuses fonctions qui les ont rendu très importantes pour les Khalifes. Les écrivains ont eu

une place spéciale et considérable parce qu'ils se sont émancipés dans l'écriture de ces correspondances avec un style éloquent et très spécial.